

# الرسالة

بجدة الكسوة للدراسة والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشوارع السلطان حسين  
رقم ٨١ - بابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ٢٠ ملياً

الاعلونات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٩٣ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ - ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

## الضد والنقيض

### في الفلسفة المادية الثنائية

للاستاذ عباس محمود العقاد

—♦♦♦♦—

تناولت في كتابي الأخير عن ابن سينا خلاصة الفلسفة المادية الثنائية فقلت في تلخيصها إن « من قوانينها اجتماع الأضداد فيها ريثما يتقلب ضد منها على ضده بغير انقطاع لهذه المقابلة الدائمة ، وإن الصفة الكمية فيها تتحول إلى الصفة « الكيفية » فتنشأ الحياة كما ينشأ العقل من هذا التحول ، إما على التدرج وإما طفرة كما يظهر بعض أنواع النبات من الأنواع الأخرى ، فلا توجد كيفية إلا وهي نتيجة التنير في الكمية ، ولا توجد حالة قط إلا وهي تنطوي على ما يناقضها ، فلا تبلغ تمامها إلا ظهر منها النقيض الذي تنطوي عليه ... »

وقد كانت هذه النبذة موضع ملاحظة بين بعض المشتغلين بالمباحث الفلسفية ، لأنهم وهموا أن إيراد النقيض وال ضد في عبارة واحدة يدل على استخدامهما بمعنى واحد . وهما مختلفان

وتصحیح هذا الوم أن النقيض يأتي بمعنى الضد ، لأن كل نقيض لشيء من الأشياء فهو ضده بلا استثناء ، ولا خطأ إذن من الوجهة العامة في الجمع بين الكلمتين في سياق واحد ، ولا حرج من التخصيص بمد التعميم على الإجمال

تقول هذا من الوجهة العامة التي لا ترتبط بالفلسفة الثنائية المادية أو بغيرها من الفلسفات

أما إذا رجعنا إلى مصطلحات الفلسفة المادية الثنائية فهناك يبدو جلياً أن أصحاب تلك الملاحظة لم يطلخوا على بحث واحد من بحوثها الطويلة في مراجعتها الممتدة ؛ لأن شراح الفلسفة المادية الثنائية قد استخدموا في هذا الباب كل مصطلح يحظر على البال في معنى المخالفة والمباينة

فاستخدموا معنى التناقض في كل شرح من شروحه المطولة

Contradictions أو Contrasts

واستخدموا معنى التضاد (أو التقابل) Opposites

واستخدموا معنى التقابل antithesis

واستخدموا معنى التباين Change

واستخدموا في جميع هذه الأحوال كلمة التناقض أو التناسخ

أو التناقض في أقوى معانيه Negation

فن أمثلة استخدامهم لمعنى التناقض شارحهم الذي اقتبسوه

من هيغل حيث يقول بالنص الإنجليزي :

Contradiction is the root of all movement and vitality

وترجمتها : « أن التناقض هو جذر كل حركة وحيوية »

ومن أمثله قانونهم الثالث الذي يقولون فيه بالنص الإنجليزي :

Each state or phase of development is considered a synthesis which resolves the contradictions contained in the preceding syntheses.

وترجمته: « إن كل حال أو وجه من أحوال التطور ووجوهه يعتبر تركيبة تقرر النقائص المطوية في التركيبة السابقة »

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى التضاد قانونهم الأول الذي نصه بالإنجليزية The law of the unity and Conflict of opposites

وترجمته: « قانون الأتحاد والتنازع في الأضداد »

ومن أمثله قول لينين في شرح هيجل بنصه الإنجليزي :  
Development is in fact the conflict of opposites  
وترجمته: « إن التطور في الواقع إنما هو التنازع بين الأضداد »  
ومن أمثلة استخدامهم لمعنى التقابل قول كارل ماركس في شرح نشأة رأس المال :

The synthesis negates and overcomes both the thesis and also the antithesis .

وترجمته: « إن المركب ينقض المقرر كما ينقض ما يقابله ويتغلب عليهما »

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى المفارقة كلام الفيلسوف الشيوعي بلخانوف p'ekhanov في شرح هيجل: « إن الثنائية هي تناير أبدى في الصور « Eternal change of forms

أما التناقى أو التناسخ أو التناقض ، فأكثر من أن يؤتى له بشاهد أو بضعة شواهد ، وحسبك منه نصن القانون الثالث ، وهو قانون نقي النقي أو نسخ النسخ أو نقض النقض كما يسمونه :  
The negation of negation ولا يخلو مبحث واحد من مباحث شراحهم من تكرار هذه الكلمة عشرات المرات في كل سياق فنحن قد لخصنا مذهب القوم بمباراتهم ، ولم نأت بكلمة من عندنا في معناها اللغوي أو معناها النطقى أو اصطلاحها الفلسفى الذى أرادوه ، وقد ذكرنا النقائص والأضداد لأنهم أكثروا من ذكرها في أمهات كتبهم ومطولات شروحهم ، ولم يدعوا لونا من ألوانها في التعبير الفلسفى والتعبير اللغوي إلا ذكروه وكرروه

ولم يخطئ القوم في استخدام هذه المصطلحات ، لأنها تليق بهم جميعاً في مواضعها وتفيدهم في تفسير أطوار المادة وأطوار المجتمع الاقتصادية على اختلافها وتناقب مظاهرها وصفحاتها ولكنهم إذا استغنوا عن بعض هذه المصطلحات فهم أحوج

ما يكونون إلى مصطلحين منها ، وهما النقائص والأضداد فلا يخفى أن مذهب القوم يدور على الحتم واللزوم ، وقد سماه بعضهم بالحمية السادية أو material determinism ، لأنه لا يسمح بفكرة المشيئة الإلهية التى تقضى بالإرادة والاختيار في تدبير هذا العالم

فالحالة المادية تخرج نقيضها على سبيل الحتم واللزوم لا على سبيل المشيئة والتدبير ، ولهذا وجب عندهم أن تخرج نقيضاً واحداً لا اختيار فيه ، ولو كانت تخرج شيئاً في طبيعية الأضداد المتعددة لاقتضى ذلك مشيئة تميز بين الأضداد وترجع بعضها على بعض في التطور من حال إلى حال . ولا يخفى أن الشيء قد تكون له أضداد كثيرة غير أضداد التقابل ولا يكون له غير نقيض واحد ليس يقبل التعدد والتكرار

فذكر النقيض في مذهبهم لازم على قدر ما في هذا المذهب من الحتم واللزوم

أما الأضداد فلزومها عندهم أن الحالة اللاحقة تنقض الحالة السابقة ، ولكن السابقة لا تنقض اللاحقة ولا تبطلها ولا تنفيها . فهي مضادة لها وليست ناقضة لها أو واقنة عندها موقف النقيض من النقيض

ومثال ذلك في مذهب القوم أن طور الصناعات البخارية ينقض طور الصناعات اليدوية لأنها تأتي بعدها . ولكن الصناعات اليدوية لا تنقض الصناعات البخارية التى تعقبها ، وكذلك عصر المدن التجارية ينقض عصر الإقطاع ، ولكن عصر الإقطاع لا ينقض عصر المدن التجارية ، وقس على ذلك جميع الأدوار في ترتيب التطور الاقتصادى ، أو ترتيب التطور في مادة الكون على التعميم

فإذا تعددت هذه الحالات ، فالأصح أن نسمى كلها أضداداً بعضها لبعض ، لأن هذه الصفة تصدق عليها جميعاً بلا استثناء ، ولكنك لا تسمى السابق منها ناقضاً لما أتى بعده ولا مناقضاً له إلا في عالم العقل دون عالم الواقع الذى يفسره الماديون الثنائيون . وبعد ، فهذه همسة في الآذان المفتحة ، وعركة في الآذان

الغلقة ، وقد يفتح العرك ما استغلقت من الآذان !!

عباس محمود العقاد

وهل فيها صرخات وهتافات بكلمات الحق والمدالة يطلبها المتضعضعون لأنفسهم وللناس ، ويتشدد بها الأقوياء والتسلطون كحلية يزبنون بها ضوايح دولهم ، ويمجلون بها الأحاديث عن سلطانهم ، ويزعمون أنهم حماها وأساتها والماهدون لها في مجال سطوتهم ؟

فإذا يدل عليه ذلك غير أن « سطح الحياة الإنسانية » ابتداءً بفلى ويفور ويشدد ويقذف وينسج ؟ إن كل وحدة إنسانية تطلب الآن لنفسها ولقومها حقوق الحياة الكريمة الطيبة ، لأنها تريد أن « تعيش » في عصر أصبحت فيه الحياة جديرة بأن « تماش » بمد أن فتح المظ آفاقها ومهد مسالكها ووسع رحابها وأمدتها بروح من قدرة الله وجدد ديباجتها وملكها مفاتيح كنوز الصحة والثروة ومقاصع المرض والفقر والجحالة ، وأفاض عليها بركات من السماء والأرض ، وإنما يسيء إلى الحياة شيء واحد يشوه وجهها ويطمس سحرها ، وهو أنانية بعض الأقوام هو الاستعمار الجشع : سواء كان استعمار طبقة لطيفة أم قوم لقوم أم فرد لفردي . فهو الشيء الوحيد الكافر بروح هذا العصر والناشر في انسجامه والشوه لوجهه !

\*\*\*

ولو أحسن الإدراك والتفريق بين الأفكار التي للعمل والأفكار التي للترف الذهني ، وعمهنا كيف تقدم الاستفادة بأفكار العمل في الأمم الشارعة في النهوض على غيرها من الأفكار لأنها أساس حياة الاجتماع ووسيلة بعث الثقة في نفوس الأفراد وتأمين حياتهم وحل مشكلات « عيشهم » لوفرنا على أنفسنا أزمات وشدائد تثير في نفوسنا الشك في حديث المثل العليا وتوهي عوائل الثقة والطمانينة إلى الحياة .

واعتنى بأفكار العمل الأفكار التي هي أمهات الأخلاق والعلوم والأعمال الصالحة ، وهي الأفكار التي درجت الإنسانية ونقلتها من طفولتها وأقامت الحرمة والقداسة حول أصول حياتها ، وهي تشمل أيضاً العلوم والمعارف الطبيعية التي تمهد الحياة المادية تمهيداً يسمح باستقرار العيش ورفاهته والإقبال على الحياة في ثقة بها واستمتاع بطبيعتها

وهي أفكار يجب الحرص عليها دائماً في كل عصر لحفظ

## بين الفكر والعمل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

—

كلما استعرضت ما يقال في الأندية الثقافية والمعاهد العلمية ، وما يكتب في الصحف والمجلات حول الأخلاق والمثل العليا ، ووازت بينه وبين حياة الواقع وما تندفع إليه سراكب الحياة العملية من الانحدار والسوء ... كدت أميل إلى أن الكلام في المثل العليا ليس إلا لإدراكها في عالم الفكر فقط ، وأتينا لا نملك قدرة عملية على تحقيقها ، وأن الكلام فيها ليس إلا لجلنا على الإيعان بأن هنالك عالماً للكمال الذي في آجل حياتنا ، فيجب أن تؤمن به للآجل لا للحاضر . وكدت أميل إلى أن الكلام في تلك المثل ليس إلا صناعة اتخذناها للارتزاق كما اتخذنا صناعة الأحذية وديع الجلود للارتزاق أيضاً ... لما رأيت من أن كثيراً من المتكلمين يؤجرون كما يؤجر الراقصون والمننون وغيرهم من محترفي الفنون الذين يستعان بهم للترويج عن النفس وللزينة وتجميل الحياة ، و « للاستعراض » والترف الذهني واستعمال ما يسمونه « حرية الفكر » ...

ولكن ... هل هذه الظاهرة — ظاهرة بمد حياة الواقع عن حياة الفكر — مطردة في جميع الأمم ؟ إننا نعلم أن هناك أمماً أدركت في حياة الواقع كثيراً من أحلام الكمال ، أو اتجهت نحو الكمال أو سددت وقاربت إن لم تكن أدركت ، وأن العزيمة الصادقة والإرادة القوية والإخلاص للجهال والنظام صفات جديرة أن تنزل بعض سماء ما في عالم النفس والفكر من أحلام الكمال إلى عالم الواقع وتجسيمها .

والحق أن كثيراً من حقائق الأخلاق اليوم في بعض الأمم كانت أحلاماً بالأسس ، وأن ضمير تلك الأمم قد صقل بالخير واقتنع به وارتاح إليه وبنى حياة الاجتماع عليه .

والحق كذلك أن تعاليم الخير صار ينادى بها الآن — ولو نظرياً — في معاهد جميع الأمم .

وانظروا : هل في الأرض إلا أم وأفراد ترفع رءوسها نحو الحريات والكرامات تطلبها لنفسها بالدم والرأى والسلم والثورة ؟

وكان إدراك « محمد علي » الكبير أصح من إدراكهم ، وجهده أقرب إلى طبيعة الأشياء من جهدهم . إذ عني ببناء أساس النهضة المصرية العملية المتمدة على الأفكار العملية قبل أن يعنى بالترف الذهني . فأسرع الخطى بمصر ، وبعت الثقة في نفوس أبنائها ، والخوف في قلوب أعدائها .

وكذلك فملت اليابان في يده نهضتها ؛ إذ كانت تكتر من إرسال البعث إلى المصانع والمعامل الأوربية ونقل من البعث النظرية الآداب والفنون والفلسفات .

وكان من نتائج الاتجاه إلى الترف الذهني أن وجدنا في مصر الطبقة المثقفة الأولى طبقة أوروبية أو أمريكية بالفكر والسلوك الظاهري وهم مصريون باللون والجنس والانتساب ، وقد انفصلوا بأفكارهم وحياتهم عن أممهم ، وضاقوا بالتخلفين منها ذرعا ، ووجدت بينهم وبين السواد الأعظم هوة واسعة سحيقة ، وحين يحاولون إصلاحها يكون أول ما يتوجهون إليه أن يجلبوا لها آخر ألوان الإصلاح والترف في الأمم المريقة في النهضة والرقى ، قبل أن يقيموا أسباب الحياة الصالحة على قواعد بسيطة عريضة تتسع للشمول . فصاروا يهتمون بالفقرى النموذجية ، والناظر الاستمرارية وفنون الحياة الأمريكية والأوروبية ، ويتحدثون عن أحدث ألوان الحياة وبتركون الحديث عن قرامم ودسا كرم التي كأن سكانها من آثار الأزل السحيق والماضى الواغل في القدم !

ويدهى أن إصلاحا على هذا الأسلوب يكون كإلقاء قطعة من السكر في بحر من الملح !

\*\*\*

وكل يوم يمر على أمة بدون أن تعلم ما استجد في العالم من الكشوف والمخترعات يجعلها أمة بالذمة ضميعة متخلفة وراء الأمم العالة ...

فما بالنا بالأمم الواقعة عند خطوات آياتها الأولين من آلاف السنين كالستنقعات الآسنة التي تزيدها حرارة شمس كل يوم جديد عفونة !

عبر النعم معروف

الاجتماع واحترام حرمت الإنسان والاستمساك بقيم الحق والخير في حياته ، وهي أيضا أفكار لا يجوز مطلقا أن يعنى من العلم بها والعمل بمقتضاها أى فرد في الدولة ، بل والمحيط الإنساني ، لأنها « القاسم المشترك » في جميع النفوس ، والميراث الواحد الذي انحدر إلينا جميعا من تاريخ جهاد الإنسانية في سبيل الحق والكمال والألفة والوحدة .

فنحن لا يؤاكل بعضنا بعضا في الأسرة ، ولا يجامل بعضنا بعضا في القبيلة والأمة ، ولا تتراحم بالمعنى الواسع في الإنسانية ، ولا نسمى لترقيها وإسماها بالعلوم والمعارف إلا تحت تأثير القديم المميين لواريخ هذه الأفكار العملية التي هي في مبتدى أمرها فيض من روح الخير في الطبيعة البشرية ومن هدى « الدين » الذي قاد هذا الطبع الخبير في ظلمات التاريخ ، حتى وصل الانسان إلى عصر رشده وقدرته .

وقد يسترى نفوسنا بعض الانقباض والاستئفال لتلك الأفكار العملية وما يتبعها من تكليف نظراً لما يلابسها من قيود ومضايقات تنيد حرية الطبع والهوى الذي لا يعرف إلا الانطلاق وإشباع الشهوات ، ولكن هذه القيود نفسها لازمة لتجقيق حرية الطبع وحرية الفكر في حدود المعقول ؛ لأن القيود التي تفرضها الجماعة في الواقع إنما هي لحفظ الحريات الفردية في حدود خاصة غير مختلطة ، ولن تتحقق لأي فرد حرته الضرورية إذا أطلقنا لكل فرد حرته الطبيعية ؛ لأن الحريات عندئذ تصادم وتتنازع ، ويتقلب قوى واحد يسلب الجميع حرياتهم ويستبدهم ، ويتمتع هو وحده بإشباع هواه الطليق الذي لا حدود له ، ويترب على هذه النتيجة السيئة جميع الحالات السيئة في حياة الاجتماع ، والتي كانت طابع عصور الاستبداد والمظالم والجهالات والضياع في مجرى التاريخ .

\*\*\*

أما أفكار « الترف الذهني » فرتبتها بمد تلك ، وخاصة في يده الهضات كما قدمنا ؛ ولكن مع الأسف قد ذهب كثير من رواد الفكر والإصلاح في مصر من عصر إسماعيل للآن إلى أن جلبوا لأمتهم الأزهار وتركوا الثمار ، وفتنوا بالألوان والأضواء وتركوا جواهر الأشياء .

وإذا امرؤ مدح امرءاً لنواله وأطال فيه فقد أطال هجاءه  
تأخذ السامع موجة من الشك في صدق هذا المني ، ولكنه حين  
يسمع قوله بهذه :

لو لم يقدر فينه بُعد السق عند الورود لما أطال رشاءه  
ويرى أنه شبهه بالبر في الماء كلما كان أبعد احتاج أن  
يطيل المأمع حبله . حينئذ تتبدد الشكوك من نفسه ، ويذهب  
الاستغراب عن وعيه وحسه . وإنما سقت هذه الجملة من القول  
لأطيل التمجيد من الأستاذ كيف ينكر على البيانين أن يجعلوا  
من أغراض التشبيه بيان إمكان الشبه أي بيان أن الشبه أمر  
ممكن الوجود ، وذلك إذا كان أمراً غريباً يمكن أن يتازع  
فيه ، فيعلق على قول المتن :

فان تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بمض دم النزال  
بقوله : كلامهم في أن الفرض من هذا التشبيه بيان أن  
وجود الشبه ممكن : مرفوض ؛ لأن الأديب لا يضع نفسه  
موضع المناقش ، ولكنه يفرض نفسه على الناس ، وكل ما هناك  
أن الناس من طيبهم إنكار هذا الامتياز ، والمعنى فيه شيء من  
الغربة في أن يوجد منهم وفاء عليهم . فقال هذا لغرابة فيه ؛  
لأن له نظائر وشواهد . اهـ .

وهذا كلام غريب جداً ووجه غرابته أمران :

أحدهما أنه ينفي الشيء ثم يشبهه في وقت واحد وسطر واحد ؛  
فهو يرفض كلامهم بدعوى أن الشعراء قوم متفطرون يفرضون  
أنفسهم على الأجيال وعلى الأذواق وعلى الطبايع ، ولكنه يحس  
أن من طبايع الناس إنكار هذا الامتياز ؛ فالشاعر يقول لا غرابة .  
ولا يقصد العلماء من إمكان ثبوت الشبه أكثر من أن التكلم  
يأتي بقضية تقرب إلى الأذهان أن هذا جائز مادام شبيهه واقفاً .  
وربما كان من الخير أن نسمع للشيخ عبد القاهر الجرجاني يحدثنا  
في أسرار البلاغة عن هذا الفرض من التشبيه فقد يكون في  
كلامه مفتوح . « فان قلت إن الأنس بالمشاهدة بعد الصفة والخبر  
إنما يكون لزهال الريب في الأكثر ، أفقول إن التمثيل إنما أنس  
به لأنه يصحح الذكور والصفة السابقة ، ويثبت أن كونها جائز  
حتى لا يكون تمثيل إلا كذلك . فالجواب أن المعاني التي يجيء  
التمثيل في عقبها على ضربين : فربب يدعي يمكن أن يخالف فيه

## علوم البلاغة في الجامعة

للأستاذ علي الهامري

- ٣ -

وماذا يقول الأستاذ في قول الله تعالى : « والقمر قدرناه  
منازل حتى عاد كالعرجون القديم » ؟ لقد ذكر أن تشبيه زرقه  
البنفسج بأوائل النار في أطراف الكبريت ليس شيئاً لأنه ينقلنا  
من جو الزهر والجمال إلى جو اللهب والاختناق ، ولم ينظر إلى  
فنية التشبيه ، ولا إلى ندرته . فهل يقول في هذا التشبيه فد  
الآية الكريمة إنه ليس شيئاً أيضاً ؛ لأن القمر مسكنه في السماء  
والعرجون مسكنه في الأرض ، والقمر من فصيلة الكواكب ،  
والعرجون من فصيلة النبات ، والقمر مثال العلو والهداية ،  
والعرجون شيء تافه حقير لا تكاد تظهر له فائدة ؟ وهل تخسر  
البلاغة القرآنية شيئاً إذا وقف الأمر عند حد تشبيه القمر حين  
يحتضر في آخر الشهر فيدق وينحني ويصفر بالعرجون المحول  
الذي دق وانحني واصفر ، ولا يلاحظ شيء وراء ذلك مما توجهه  
صورة العرجون وبيئته وتقافته ؟

لا بد إذن أن نكون مع علماء البلاغة حين يرون أن القصد  
من التشبيه ليس فقط إثارة جو عام بين المشبه والمشبّه به أو أنه  
منبع لمان تتداعي يجب أن تلمس آثارها في النفس ، ويكفي  
أن تقول معهم إن التشبيه بالحس المشاهد يحدث نوع اطمئنان ،  
وأن السامع قبل أن تذكر له التشبيه قد يكون الكلام عنده  
غامضاً مضطرباً حتى إذا شبهت استقر القول في نفسه ، وأنت  
قد تبائع في القول ولاندع مزيداً في الامران فلا يكون ما يكون  
حين تشبه بشيء محس فتقول مثلاً : يوم بلغ في العصر نهايته ،  
وليس وراء هذا العصر قصر ، وما علت يوماً أقصر منه ،  
ولكن هذه البارات مجتمعة لا تفيد ما يفيد قول الشاعر :  
ظلمنا عند باب أبي نعيم نيوماً مثل سائلة النباب  
( سائلة النباب : ناسية مقدم المنق ) .

وكان التشبيه هذا الأثر فكذلك التمثيل ، فحين يقول ابن الرومي :

التعابير ، وإنه إن تنقص هذا العلم أن تقول إن مباحثه تقتصر على معرفة أن مهزول الفصيل أوضح من كثير الرماد في الدلالة على الكرم ، أو أن التشبيه والاستمارة مختلفان في وضوح الدلالة ؛ ولكن هذا العلم له أبحاث كثيرة قد يكون البحث في وضوح الدلالة أمثلاً .

وثانياً — قوله : « الجملة تتكون من أجزاء سليمة ، وهذا ما يكفله علم النحو » . فالنحو لا يبحث في سلامة الفردات وإنما يبحث هذا علم التصريف ، ووظيفة النحو سلامة التراكيب .

وثالثاً — كون الجملة سالحة للسكنى ليست وظيفة علم المعاني ، ولكن صاحب المعاني يعنيه إذا أردنا أن نلجأ إلى التعبير بالمعنى أن يعرف هل هذا البناء مطابق للمواصفات التي وضعها المهندسون ، أو غير مطابق ، كما يعنيه أن يعرف هل هو ملائم للمكان والبيئة أو غير ملائم .

أما الفاطلة الرابعة — فقوله : إن هذه الجملة يمكن أن تعرض عرضاً متنوع الأنماط . والذي يدقق في هذا الكلام يجد عليه ؛ ذلك أن الجملة نفسها لا تعرض وإنما يعرض المعنى فإذا عبر شاعر عن طول الليل بقوله :

أضلَّ النهارَ المستنيرَ طريقه أم الدهرَ ليلَ كاهٍ ليس يرح  
وعبر الآخر بقوله :

حدثوني عن النهار حديثاً أو صِفوه فقد نيت النهاراً  
وعبر الثالث بقوله :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مفارقتل شدت يذبل  
فهذه التعابير كلها ليست عرضاً لجملة واحدة ، وإنما هي عرض لمعنى واحد .

\*\*\*

يشكر الأستاذ على علماء البلاغة جعلهم أداة التشبيه ركناً ، ويرى أن ذلك إغراق منهم في اللاديات ، ومتابعة مسرفة للتصوير العقلي أدى إلى نسيان الناحية الأدبية في التشبيه ، وهي أن أفضل التشبيه ما يقوم على إيهام أن الشبه هو المشبه به ، وهذا لا يكون إلا بحذف الأداة .

ولا معنى لهذا الكلام إلا أنه كلام تحسب ، علماء البلاغة

ويدعى امتناعه نحو قوله : فإن تفق ... البيت ، وذلك أنه أراد أنه فاق الأنام إلى حد بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة بل صار كأنه جنس برأسه ، فإذا قال : « فإن الملك بمض دم الغزال » فقد احتج لدعواه وأبان أن لما ادَّعاه أصلاً في الوجود . والضرب الثاني ألا يكون المعنى الممثل غريباً يحتاج في دعوى كونه على الجملة إلى بيعة . نظير ذلك أن ينق عن فعل من الأفعال التي يفعلها الإنسان الفاعلة ويدعى أنه لا يحصل منه على طائل ثم يمثل في ذلك بالقابض على الماء والراقم فيه ، وليس بمجيب أن يجيب سمي الإنسان حتى يستشهد على إمكانه ، وتقام البيعة على صدق الدعوى لوجدانه (١) .

ولنخرج قليلاً عن مناقشة الآراء العلمية لتتحدث في شيء من البساطة عن دقة الشيخ في تعبيراته ، والمعلوم اسكل من يدرس كتب التقديم أنهم يدققون كل التدقيق في وضع الألفاظ ، وهم في ذلك أشبه رجال القانون لا يدعون لفظة تؤدي غير معناها ولا فوق معناها ، ولعلمهم أفادوا كثيراً في هذه الناحية من دراسة المنطق ، ولذلك نجد الشراح وأصحاب الحواشي من المتأخرين عنواناً غاية خاصة بنقد التعابير والألفاظ . والحق أن العلوم القديمة في حاجة إلى هذه الدقة حتى تكون التصاريف والمصطلحات وافية بالفرض . عرض لي كل ذلك حين ابتدأت أقرأ مذكرات الأستاذ في علم البيان فما كدت أنتهي من السطرين الأولين حتى وجدت أغلاطاً أربماً ، وليست هي أغلاطاً لغوية ولا أغلاطاً نحوية حتى يمكن التسامح فيها ، ولكنها أغلاط علمية لو فهمها الطلاب على ما هي عليه لفهموا حقائقها مغلوطة محرفة قال :

« هم يقولون إن بعض التعابير أوضح من بعض . فعلم البيان هو الذي يبين درجات هذا الوضوح . فالجملة تتكون من أجزاء سليمة وهذا ما يكفله علم النحو ؛ سالحة للسكنى ، وهذا ما يكفله علم المعاني . هذه الجملة ذاتها يمكن أن تعرض عرضاً متنوع الأنماط ، وهذا ما يكفله علم البيان » .

فأولاً — ليست وظيفة علم البيان البحث في درجات وضوح

على بعض مباحث البيان حتى أفنت نظر القارىء إلى ما يلجأ إليه الأستاذ من تكاف الشطط في تأويل النصوص الأدبية وبيان مواضع البلاغة فيها . يقول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه  
ويقول الأستاذ : « التركيب يفهم على أنه صورة ملونة . الفبار

تسكائف حتى أظلم ووصل إلى السواد القاتم ، وليس تشبيه مثار النقع بالليل لمحض القاتم ، وإنما ملحوظ فيه أيضاً الحيرة والظلام والخطورة والاضطراب وهذا ما يطلب في القتال بالسيوف ؛ فإذا أضفنا إلى هذا الحالة النفسية لمن يقاتل بالسلاح الأبيض نجد أنه يعتقد أنه معرض للموت بشهاب ممزق ، ولذا قال في السيوف ليل تهاوى كواكبه .

فهذا كلام يقوله من لا يحسب لعقول الناس حساباً فمن أين له أن يشاراً لاحظ في تشبيه النبار بالليل الحيرة والضلال والخطورة ؟ ! ومن أين له أنه لاحظ أن القاتلة يتوهمون أنهم معرضون لشهاب ممزق ؟ ! ومتى فكر القاتل في رُجْم السماء وهو مشغول عنها برجم الأرض ؟

السؤال بسيطة جداً : يريد الشاعر أن يمثل جماعة يقاتلون وقد عقد النبار فوق رؤوسهم ظلاماً كما يقول أبو الطيب :

تثرت سنا بكماه عليها عثيراً لو تبتغى عنقاً عليه لأمكننا  
ثم تصور سيوفاً أيضاً لوامع مستطيلة تملو وتهبط وتبجي ، وتذهب ، تتلاقى وتتداخل ويقع بعضها في بعض . فالتبس لذلك شهاباً فوجده في ايل مظلم تتساقط كواكبه ، وما أظنه خطر على باله شيء مما يقول الأستاذ ، ولكنها دعوى التجديد .

على العمري

المدرس بمعهد القاهرة

وضموا لها ضوابط ، وراوا أن من أحكام هذه الضوابط أن تكون أداة التشبيه ركناً من أركانها لما راود أنها لا تنفك عن التشبيه مطلقاً ، فهي إما مذكورة وإما مقدره ، والتشبيه البليغ لم يبن على نسيان الأداة أو إعدامها ، وإنما بنى على حذفها في اللفظ ، وهذا الحذف اللفظي كاف في إيهام أن المشبه هو المشبه به .

وإذا كان التشبيه إلحاقاً أمر بأمر ، وكانت اللغة وضمت أداة لهذا الإلحاق فلا يمكن أن يتخلى الإلحاق عن أدائه مطلقاً ما دامت طبيعة اللغة تأبى هذا التخلي بل وطبيعة الناس كذلك .

فأنت عند ما تسمع كلمة تشبيه يتبادر إلى ذهنك أول ما يتبادر أن هناك أداة ألحقت شيئاً بشيء وشبهته به ، والحل لا يمكن إلا أن يكون كذلك . تقول محمد كريم فتحمّل كريماً على محمد

لأنه صفة ، ولكذلك إذا قلت محمد حاتم تريد تشبيهه به في الكرم لا يمكن إلا أن تلاحظ أن هنا أداة صححت الحل ، وإلا كنت حاملاً ذاتاً على ذات وطبيعة اللغة تأباه . وقد فطن علماء البيان

لكان الأداة في التشبيه ، ورتبوا عليها أحكاماً هي في غاية الدقة والضببط ؛ فراوا أنه إذا لم يمكن تقديرها مطلقاً كان الكلام استمارة ، وإذا أمكن بسهولة دار الأمرين كون الكلام تشبيهاً أو استمارة ، وهو ما يسمونه التشبيه البليغ . فإذا أمكن تقدير

بعض الأدوات دون بعض كان إطلاق التشبيه على الكلام مقبولاً ؛ فإن غمض مكان الكاف وكان بأن يوصف الإسم الذي فيه التشبيه بصفة لا تكون في ذلك الجنس وأمر خاص غريب كقوله :

شمس تألق والفراق غروبها عنا وبدر والصدود كسوفه  
فهو أقرب إلى أن نسميه استمارة ؛ فإنه قد غمض تقدير حرف التشبيه فيه إذ لا تصل إلى الكاف حتى تبطل بنية الكلام ، وتبدل صورته . وقد يكون في الصفات التي تبجي في هذا النحو ما يحتل به تقدير التشبيه فيقرب حينئذ من القبيل الذي تطلق

عليه الاستمارة من بعض الوجوه كقوله :

أسد دم الأسد المزيّر خضابه بموت فربص الموت منه يرعد  
لا سبيل لك إلى أن تقول هو كالأسد وهو كالموت لما يكون في ذلك من التناقض<sup>(١)</sup> .

وأياً ما كان فلا معنى لأن ننكر شيئاً يقره النطق والعقل واللغة والتوق . ولا أحب أن أختم قول فيها كتبه الشيخ تعليقاً

مطبعة « الرسالة » قهرم قريباً :

الطبعة الثانية من كتاب

في أصول الأدب

للاستاذ أحمد حسن الزيات

# الحلم والتحمل . . .

للاستاذ محمود عزت عرفة

- ٣ -

« إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتعلم ، ومن يتخير الخير  
يطهه ، ومن يتوق الشر يوقه » حديث شريف

المأمون :

يرتفع الستار بعد موت الرشيد عن مشهدين متناهيين  
— أحدهما في بغداد والثاني في مرو — بينهما متسع من الأرض  
فسيح تحب الدسيمة فيه وتضع .

ولم يكن هذا النزاع بين الأمين والمأمون إلا مظهرًا لنزاع  
أشد وأروع بين حاشيتيهما في حاضرنا العراق وخراسان ، وكان  
على رأس الأولى الفضل بن الربيع يشد أزره فريق من دعاة السوء  
وأرباب الطامع ... وعلى رأس الثانية الفضل بن سهل يكتنفه  
الشيمة من أهل خراسان ، وقد وطدوا عزمهم على تقويض  
العرش العباسي ببغداد وإستاد الخلافة إلى العلويين ، ( والمعجب  
أن المأمون أصبح يرى هذا الرأي ، بل هو يضمه موضع التنفيذ  
كما سترى ) .

ولم يكن بين الأخوين من العداوة الشخصية ما يبلغ حد  
القتال ، ولكن بعد ما بينهما أفسح المجال للدسائس والوشايات ،  
وكان الأمين ضعيف المنّة فاشل الرأي يصيح لإعراء وزيره ،  
ودسّ رجال حاشيته ، فنادى بخلع أخيه من ولاية المهدي وجعلها  
لابنه موسى ( الناطق بالحق ) .

وكان خليفًا بالمأمون أن يرفض هذا التبديل ، وأن يأبى  
التنازل عن حق كفله له أبوه الرشيد بإتجاهين أودعهما البيت  
الحرام ... وكان قد أزالهما الأمين عن موضعهما بإشارة خبيثة  
من الفضل (١) .

(١) كان الرشيد عند وفاته جالس ( ١٩٣ هـ ) قد أوصى بالجيش  
وسائر معداته وذخائره لابن المأمون ، فنالت الفضل بن الربيع هذه  
الوصية وارتد بالجيش إلى بغداد وتقاّر رغبة الأمين ، ولم يقبل دعوة المأمون  
له بالرجوع ، فأوقع ذلك في نفسه الرهبة من انتقامه إذا ما تولى الخلافة وروى  
حتى فمن هنا كان تفنن الربيع في السكيد للمأمون !

تمحركت جيوش جرارة من بغداد منذ عام ١٩٥ هـ بقيادة :  
على بن إبيسي ، وعبد الرحمن بن جبيلة ، وابن مزيد ، وابن قحطبية  
على التوالي . فانبرى لقتالها رجلا المأمون : طاهر بن الحسين ،  
وهرثة بن أعين .

وبعد حروب امتدت ثلاثة أعوام وطئت عساكر المأمون  
أرض بغداد ، وقُتل الأمين بأيدي الخراسانيين ، وحمل رأسه إلى  
أخيه مع بقية شارات الملك ، وكان هذا القتل على غير رغبة  
المأمون ...

تولى كبيره رجال طاهر من الفرس حين أسلم الأمين نفسه  
إلى هرثة بن أعين . وليس من شك في أن الأمين أيضاً كان  
يضنّ بأخيه أن يقتل فيها لو أظفروه الله به . وإنا لنراه يوصي قائد  
جيوشه ( على بن عيسى بن ماهان ) يوم وجهه من بغداد إلى  
خراسان فيقول :

إذا أشخصته — يعني عبد الله المأمون — فليكن مع أوثق  
أصحابك عندك ، فإن غره الشيطان فناصرك المداة فأحرص على  
أن تأمره أمراً !

وتقول زبيدة أم الأمين في وصيتها للقائد ( على ) : اعرف  
لمبد الله حق والده وأخوته ، ولا تجبهه بالكلام فإنك لست  
نظيره ، ولا تقدره اقتدار العبيد ، ولا توهنه بقيد ولا غل ...  
ولا تترك قبله ، ولا تستقل دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن  
شتمك فاحتمل منه ، وإن سفه عليك فلا تراءه ... ثم هي ترفع  
إليه قيداً من الفضة وتقول : إن صار في يدك فقيده بهذا القيد !  
فلما تم النصر للمأمون ، واستولى على عرش بغداد قال  
لجلسائه مرة وهو يثلب الفضل بن الربيع ويمدد مخازيه : كان  
صفوه إلى الخلوغ ، فحمله على أن أغراه بي ودعاه إلى قتلى ، وحرك  
الآخر ما يحرك القرابة والرحم الماسة فقال : أما القتل فلا أقتله ،  
ولكن أجمله بحيث إذا قال لم يطع ، وإذا دعا لم يجيب . فكان  
أحسن حالاتي عنده أن وجه مع علي بن عيسى قيداً فضةً بمد  
ماتنازعا في الفضة والحديد ؛ ليقيدني به ، وذهب عنه قوله تعالى :  
« ذلك ومن عاقب بمثله ما عوقب به ثم بنى عليه ، لينصرنه الله » هـ  
كان المأمون يعرف عن أخيه فتولة الرأي وسهولة الانقياد  
لن أحاط به من بطانة السوء ، ولعله لو وقع في أسرهم لكان أقصى

ما يفعله معه أن يقيد به هذا القيد من الغضة التي أهداه له ، ثم يحملة حتى يطرحه عند أمه زبيدة فيقول لها : أذبي ولدك يا أمه بما أساء ، فلقد خان عهد أينا الرشيد ، وأصاخ إلى من يريدون بأسرتنا وملكنا شراً ...

ولكن جرت الأمور بنير ما قدر هؤلاء جيماً ، وطاح رأس الأمين على مذبح هذه الفتنة النشوم ، والتفت المأمون حوله فإذا سكون شامل وصمت رهيب ؛ وإذا أعداؤه ما بين قتيل قد كُتفي شره ، أو هارب يتلمس التخفي ويطلب أسباب النجاة ، ولم تنشط نفس المأمون إلى ورود بغداد واعتلاء عرشها الدامي إلا بعد انطواء ست سنين على مقتل أخيه ( من ١٩٨٨ إلى ٢٠٤ هـ ) ، وكأنما كانت نفسه قد ملت القتل وبرمت بالقتال ، وامتلا قلبه بالسكون وبالطمأنينة ، وبالفلسفة والتأمل الصامت ؛ فنجح إلى العفو والسامحة ، وشغل عن كثير من مطامع الحياة وأهواء السياسة والمجتمع ، وانصرف بجهده إلى العلم ومدارسته وتشجيع المشتغلين به ، وحثهم على التوفير عليه ؛ كما هو معلوم من سيرته ...

وكان عفو عمه دخلوا في فتنة الأمين شاملاً ، وأتبع ذلك عفو عن عمه إبراهيم بن المهدي الذي ادعى الخلافة ( عام ٢٠١ هـ ) قبل مقدم المأمون إلى بغداد ، وكان سبب قيام ابن المهدي في بغداد ما أجمع عليه الباسيون من خلع المأمون عند ما اختار لولاية عهده علياً الرضى بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق من العلويين وظهر الفضل بن الربيع وقتل — وكان مختلفاً منذ مقتل الأمين — فانضم إلى ابن المهدي متحدياً للمأمون للمرة الثانية ، وكان من المجيب أن يشمله العفو رغم كل ذلك . ولما مثل بين يدي المأمون في ذلته وانكساره قال له : يا فضل ، أكان من حق عليك وحق آباءي ونعمهم عند أبيك وعندك ، أن تلبني وتسبني وتحرض على دمي ؟ أحب أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إن عذري بمحمدك إذا كان واضحاً جيلاً ، فكيف إذا حفت الميوب وقبحته الذنوب ؟ فلا يضق عني من عفوك ما وسع غيري منك ، فأنت كما قال الشاعر فيك :

صفوح عن الإجماع حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرماً  
وليس يبالي أن يكون به الأذى

إذا ما الأذى لم ينش بالكرم مسلماً (١)

(١) قال الصولي : الشعر الحسن بن رجا.

فأسبل المأمون عليه توب عفوه ...

وعفا عن إسحاق بن العباس ، وكان ممن أجلب مع ابن المهدي ، وعفا أيضاً عن ذوى قرابته من آل عبد الملك بن صالح بعد أن كان قبض ضياعهم . فردها عليهم وقضى حوائجهم .

بل لقد هجاء دعبل الخزاعي الشاعر بداليتة التي يقول فيها :

أيسومني المأمونُ خطة خفيفه

أو ما رأى بالأمس رأس عمه ؟  
فلم يمد إليه يداً بسوء . ثم عمل دعبل أبحاثاً في إبراهيم بن المهدي بعد العفو عنه ، أولها :

نسر ( ابن شكلة ) بالعراق وأهله فهفا إليه كل أطلس مائق

فشكاه إبراهيم إلى المأمون . فقال له : لك أسوة بي ، فقد هجاني واحتملته ، وقال في : أيسومني المأمون ... وأنشده الأبيات . فقال إبراهيم : زادك الله حلقاً يا أمير المؤمنين وعلماً ، فإني نطق أحدنا إلا عن فضل علمك ، ولا يحلم إلا اتباعاً لحلمك .

وهجا الحسين بن الضحاك المأمون بقصائد ، ثم دخل عليه في بغداد مادحاً ، فمات به وبجته ؛ ثم عفا عنه ، وقال : جعلت عقوبة ذنبك امتناعي عن استخدامك .

\*\*\*

كانت فتنة الأمين والمأمون شديدة الوقع في نفوس الباسيين جيماً ، وضاعف من وضعها مقتل الأمين الذي يعد الحادث الأول من نوعه في تاريخهم ، وقد تلا ذلك فترة سكون وسلام داخلي زيتها المأمون بمفوه وتسامحه ، وبلغ من تماسكه في هذا الخلق الكريم أن كان يقول : أما لو عرف الناس ما لنا في العفو من اللذة لتقربوا إلينا بالجنایات !

وكأنما كان يسمع كلامه هذا أحد البغداديين حين أتني عليه بقوله :

مازلت في البذل والنوال وإطا . للاق لعاف بجرمة غلق  
حتى تمنى البراه أنهمو عندك أمرى في القيد والخلق

ولقد أتني على المأمون حين من الدهر كان لا يثق فيه بالسلامة من أعدائه فضلاً عن التلذذ عليهم . فلما توطد له الأمر وتمت عليه نعمة ربه ؛ جعل من العفو عن أعدائه شكراً يتقرب به إلى الله

من دون أولئك الكفار ، فهذه الأرض كما قالت التوراة :  
« تقيض لنا وعسلا »<sup>(١)</sup> .

وكان سواد الجيوش الصليبية يتألف من رعايا أوروبا الذين طمست الجهالة بصائرهم ، فساقهم رجال الدين سوق الساعات لتحقيق مآربهم السياسية وأطاعهم اللادية . يصفهم المستشرق الإنجليزي سير وليم مورر بأنهم « الطبقة الدنيا ... خرجوا في جموع غفيرة متبئين بطرس الناسك وغيره من القواد ، مدفوعين بالتصعب الشديد ؛ ولكن لم يلبثوا أن ظهروا عبيداً للشهوات والميول الدنيئة »<sup>(٢)</sup> .

ويقول عنهم في موضع آخر : « أما البارونات والفرسان مهما كانت طبقتهم ، فلم يكن مهمهم غير التنازع على السيادة . والواقع أنه قضى عليهم الشره والغبية والحصام والمبالغة في الترف وهؤلاء الرجال الدنسون هم حماة الأرض المقدسة ! » .

ويصف من شرهم يوم فتحوا بيت المقدس أنهم سفكوا دماء سبعين ألف مسلم لم يراعوا فيهم حرمة لشيخ أو امرأة أو طفل . ثم يقول : « وبعد أن أشبع جنود الصليب شهواتهم الوحشية أوفوا بندورهم وقبلوا الحجر الذي كان يفظى المسيح الذي قال : إن يملككني ليست من هذا العالم وإلا لا تأمل أتباعى » . هؤلاء هم الأعداء الذين قدر لصلاح الدين أن يلقاهم في ميدان الجهاد ... فكيف أقيمهم ؟

لسنا نمدو هنا الإشارة إلى بعض مواقفهم حيالهم ، غيب كل انتصار كان يتم له عليهم ، ففي ذلك وحده ما يكفي في الدلالة على ما نريد .

أسر السلطان صلاح الدين في موقعة حطين : جاي دي لوزينان ( جوى ) ملك بيت المقدس ، وبلان صاحب الرملة ، ووينولد أمير الكرك والشوبك . فلم يهدر إلا دم الأخير منهم وفاة ليمين كان أقسمها أن يضرب عنقه بيده جزاء ما تناول به على مقام النبوة ، ولسوء غدره ، وكثرة تعرضه لقوافل المسلمين المجتازة على الكرك .

(١) تاريخ صلاح الدين الأيوبي للدكتور أحمد بيل

(٢) تاريخ دولة المماليك في مصر تأليف وليم مورر ، وترجمة محمود

عابدين وسليمان حسن

وفد ألم بهذا المعنى في كلامه غير مرة ... كان في مجلسه من أصحابه يوماً حين انهمكت عيناه بالدمع ، فلما سئل عن سبب بكائه قال : ما ذلك من حدث ، ولا لكرورٍ همت به لأحد ، ولكنه جنسٌ من أجناس الشكر لله لمظمته ، وذكر نعمته التي أتمها على كآتمها على أبوي من قبل . أما ترون ذلك الذي في حمن الدار - بمعنى الفضل بن الربيع - كان في أيام الرشيد ، وحاله حاله ، يراني بوجه أعرف فيه البغضاء والشآن ؛ وكان له عندي كالذي لي عنده ، ولكنني كنت أداريه خوفاً من سمائته وحذراً من أكاذيبه . فكنت إذا سلمت عليه فرد علي ، أظل لذلك فرحاً وبه مبهجاً ...

وعفا المأمون عن سعيد الخطيب وقال عنه - وقد وقف على رأيه بمدحه ويشيد بسيرته - : هذا الخطيب كان بالأمس يقف على المنبر الذي يازأني مرة ، وعلى المنبر الغربي مرة ، فيزعم أني المأمون ولست بالمأمون ! ... ثم هو الساعة يقرظني تقرظته المسيح ومحمداً عليهما السلام !

### صريح الرين الأيوبي :

بعد صلاح الدين النموذج الكامل للحليم يعني عليه حلمه ، ويؤزده وقومه موارد الضر والأذى . فهو قد نهض بهذا السلاح النبيل في وجوه قوم لم يتخذوا سوى الندر والحياة عدة لهم وسلاحاً ، وكانوا بما دس في عقولهم رهبان القرون الوسطى لا يرون في الحملات الصليبية إلا وسيلة لإيادة السلمين بالشرق ، والاستيلاء على ترائبهم المادى فيه .

وهكذا كانت خرافة بيت القدس وتطهيره من الكفار تحديراً - ليس أكثر - لأعصاب اللالين من طغام أوروبا ، واستتارة للعصية الدينية المقيتة في نفوسهم ، ولم يكن ليسم البابا أوربان الثاني وهو يرسل صيحاته الفتنة - في كليرمونت بفرنسا عام ١٠٩٥ - إلا أن يقرنها بذكر الباعث الحقيقي على شن هذه الحروب فيقول : إنها ليست لاكتساب مدينة واحدة ؛ بل لامتلاك أقاليم آسيا يجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تحصى . فاتخذوا البيت المقدس حجة ، وخلصوا الأراضي المقدسة من أيدي المحتلين لها ، وامتلكوها أنتم خالصة لكم

فقد أخذ الصليبيون عكا حصناً لهم هوضاً عن بيت المقدس ، وظلوا يناوئون منها المسلمين في الشام وفي مصر ؛ حتى كان سقوطها على يد السلطان الظاهر بيبرس ( ١٢٩١ م ) خاتمة لهذه المذابح الفظيعة التي انتهت بطرد الصليبيين من المشرق بعد أن اطخت سجل تاريخ العصور الوسطى بدماء لا تبلى ولا تمح . فسا أهبط الثمن الذي دفعه المسلمون من دمائهم ومن مدينتهم - خلال مائة سنة « إضافية » من الحرب - لقاء هذه اللحظة العابرة التي تحركت فيها مشاعر صلاح الدين فأطلق سراح ملك بيت المقدس جاي دي لوزينان ! حقاً إنها لحظة حاسمة من لحظات التاريخ ؛ تركت على وجه الأرض أثرها الذي لا يُمحى .

محمد عزت عرفه (يقم)

أما بليان صاحب الرملة فقد استأذن من صلاح الدين - كما يستأذن الحر الشريف ! - أن يتركه يمضي إلى القدس فيحمل زوجته وأولاده قبل أن تدمرها جحافل السلطان وأقسم ألا يتجاوز مكانه بها الايلة الواحدة . فلما بلغها التف حولها التوم ضارين ، واستأله البطريق إلى أن يقيم معهم ليضطلع بقيادة الحملة الصليبية وأباحه كنوز الكنيسة يتناول منها ما يشاء . فنجح الأمير إلى القدر ، ونسى عيونه ووعدته فما ذكره بهما إلا صلاح الدين وهو يدق عليه أبواب بيت المقدس ، ثم يفتحه على التوم صلحاً ؛ ومن العجيب أنه خرج مع سائر من خرجوا - وفق شروط الصلح - معافاً موفوراً ...

وأما جاي دي لوزينان Guy de Lusignan ملك بيت المقدس فقد احتمله السلطان معه في تنقلاته فترة ما بعد ما كان في (أنطرووس) أطلق سراحه بعد أن أخذ عليه اليهود والوثائق أن يتأدر الشام إلى أوروبا نافضاً يده من القتال . فحث هذا الملك بعهده ؛ ومضى إلى صور حيث أبي عليه كوزاد صاحب حاميتها أن يتولى معه زمام أمر . فأجبه إلى طرابلس وحشد بها الحشود ، ثم ذهب إلى عكا - وكانت في يد المسلمين - فحضر حولها الحصار عامين ، بماونه فيليب ورتشارد ملكا فرنسا و إنجلترا ، وقد قتل في هذا الحصار ستون ألفاً من المسلمين ، ثم جرت يوم فتحها مذبحه رهبية ذهب فيها ألفان وسبعمائة مسلم . ويقول المؤرخون إن ملكي الإنجليز والفرنسيين مرضا في أثناء هذا الحصار فأرسل إليهما صلاح الدين أطافاً من ثلج وشراب بارد وفاكهة وغيرها<sup>(١)</sup> .

أقد كان صلاح الدين في الحقيقة أسداً باسل المهمة كريم النخيزة ، يلقى ذئاباً ضاربات حشو حلودها الحسة والسكر ، والحديمة والجبن ، وأشباهاها من دينيات الأخلاق .

ولقد أفضى سقوط عكا عام ١١٦١ م في أيدي الصليبيين إلى نتيجة مؤلمة رهبية هي - في أوجز تمبير - امتداد الحروب الصليبية « مائة عام » أخرى بسجلها التاريخ بمجداد من الدم الصيب !

(١) وفي موقعة عند باين صلاح الدين ورتشارد بولون إن السلطان أهدى لى الملك جوادين من أفره جياده ، لما رآه يفقد جومه راجلاً .

### وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

الناقصات العامة

إمارة مناصرة

تقدم المطاءات بمنوان حضرة صاحب العزة وكيل المعارف المساعد بشارع الفلكي بمصر بالبريد الوصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميه في داخل الصندوق المخصص لذلك في إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ١٩ / ١٠ / ٤٦ عن توريد خراطيم كاوتشوك للوزارة . ويمكن الحصول على شروط وقائمة الناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكي بمصر نظير دفع مبلغ

٦١٥١

١٠٠ مليم .

## عناصر الاستقلال .. !

[ مهادة إلى شباب العرب ]

( لأستاذ فاضل )

—>>> <<<—

ليست هناك فكرة جليلة لدى الأمة وفريق من خاصتها ،  
عن الاستقلال الحقيقي ؟ بل إنهم يفهمون من - الاستقلال -  
الاستقلال السياسي لحسب ! وقليلون أولئك الذين يفهمون  
الاستقلال على حقيقته ، والعلّة في ذلك قلة ما صدر حتى اليوم من  
الكتب التي تعالج القضية الوطنية ، على أنها معدودة الشمول ،  
أو سطحية الخ .

والاستقلال بمفهومه العام يقوم على أركان ثلاثة أساسية ،  
وفقدان أحدهما يهدّد ثلثاً في الاستقلال ، إذ يؤثر على الآخرين .  
وإذا كنا لا نريد كثيراً من المفاضلة بينها إلا أنه يهمننا أن نقرر  
أن كلا من هذه الأركان خطير الأهمية .

وبعد ، فما هي عناصر الاستقلال وأركانها التي يقوم عليها ؟  
هذه الأركان ثلاثة هي :

الاستقلال السياسي .

الاستقلال الاقتصادي .

الاستقلال الفكري .

ولا يعزب عن البال أن العرب حتى اليوم لم يعيروا الركبتين  
الأخيرتين ما يستاهلانه من العناية والاهتمام . ولعلّ سرمد ذلك  
إلى أن الأجنبي هو الذي حال دون ذلك حتى اليوم .

كذلك لا يعزب عن البال ما للركن الثالث من أهمية ( خاصة )  
لأن علاقتنا مع ( أجنبي ) جنّي ( ويجني ) فوائد عظيمة من ثلم  
الاستقلال الفكري ، بل هذا هو سلاحه الفتاك ، أعني  
« الدعاية » بمفهومها الواسع التي توفر عليه إراقة الدماء وسرّ  
الغناء ، مما لم يُثبت أجنبي غيره قدرته على الاستفادة من هذا  
السلاح ...

ولما أصبح مفهوم الاستقلال السياسي وقضية الحرية من  
البدائنه التي لا يختلف فيها اثنان فسوف نقصر كلامنا على الركبتين  
الأخيرتين ، إجمالاً .

أولاً : ما هو الاستقلال الاقتصادي وأهميته وأثره ؟

هو أن يكون للبلد زراعة ثم صناعة ثم تجارة مزدهرة ،  
بحيث يكون ميزانه التجاري وميزانه الحساب سليمين ، فلا يعتمد  
في شيء من حاجاته على بلدٍ أجنبي ما لم ينتج ما يسدّ النقص .  
وعلى ضوء هذا التعريف البسيط الموجز تتساءل هل نحن  
مستقلون اقتصادياً ؟؟ الحق أننا لم نجتز بعد الخطوة الأولى في  
مضمار التقدم الاقتصادي ، وما زال مستعبدين اقتصادياً ، فكثير  
من الشاربع المنتجة العظيمة في بلاد العرب ، تُستغلّ برؤوس  
أموال أجنبية ولا يصيبنا منها إلا نصيب الأيتام على مأدبة اللثام !  
ولم تقب بعد من الأذهان والحواطر تلك الحالة الاقتصادية  
البائسة التي فرضت علينا طيلة الحرب العالمية الثانية ، وما زال ،  
حيث تمكن الأجنبي من تحطيم كيان العرب الاقتصادي  
بين عشية وضحاها ، فأحصى علينا حركاتنا وسكناتنا ،  
ووقفنا تحت رحمة أسارى ، وازدهرت الأندية واللاهى  
والخلاعة ... وسهل عليه أن يستعمل جيشاً لجباً من رجالنا ...  
كترزقة ... الخ ... الخ ... الخ ...

( وأتى لنا جلدًا رقيقًا وأعظما ) أورثنا الطبلاوى افندى<sup>(١)</sup>  
هذا الحيوان الذي أنخيله وحشاً يخرب ويدمر ... وبتلغ الأخضر  
واليابس ... وأورثنا التضخم النقدي ... وسرق الرغيف منا  
سراً وعلانية ، وابتلع نتاج أرضنا من بتول وممدن ... وذهبت  
الدماء التي أريقت منا هباءً مثنوراً ... ولئن عادت تلك الظروف  
عدنا نحن والهنود وغيرهم ... نذفع الثمن !!!

إذن ما زال تحت رحمة ، ولم نخط خطوات محسوسة في  
سبيل الاستقلال الاقتصادي ، وهذا يعني - وهو حقيقة مرّة -  
أن الوضع الحاضر المقيت سيمتد إلى أجل غير مسمى في بلاد  
العرب ... وسيبقى الاستقلال السياسي - إذا أتمناه -  
عديم الفائدة .

ثانياً : ما هو الاستقلال الفكري وأهميته ؟؟

هو الانجرى وراء الآخرين بل تجاريهم في كل شيء !  
هو ألا نصدق بكل ما يرد إلى بلادنا من أفكار ومذاهب  
وآراء على علائها .

هو ألا نشعر بأننا قاصرون ، وأقل جدارة ، وأحط أهلية

(١) ثرى الحرب كما ينهته لأستاذ الكبير الزيات

الكتاب تهجم وفتح على قوم يجعلهم وعلى حكومة يمتاز بها فضلا عما فيه من مطامن شخصية كفيفة بأن تثيره وتسخطه على صاحبه أعظم السخط .

الأدب في سيرة أعلامه :

## ملتن ..

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع  
أناشيد الجمال والحمة والخيال ... ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٢٨ —

—>>><<—

البطل الضرب :

وكان ملتن في جنوحه إلى الراحة يفكر فيما عسى أن يرد به سلامسيس على رده هو عليه ، ويدبر في خاطره ماذا يصنع وماذا يعد من رد ؛ حتى جاء هذا الكتاب فاستأثر بفكره ، وطلب إلى ملتن أن يرد فيدفع عن وطنه ما يتهم به كما فعل حيال صيحة سلامسيس ، وما كان في حاجة إلى أن يطلب إليه ذلك . ففي هذا

ومن عسى أن يكون صاحب هذا الكتاب ؟ ذلك ما أخذ يتساءل ملتن عنه ؛ فليس على غلافه إلا أنه طبع بإشراف ألكسندر مورس ، وقطان ملتن آخر الأمر أن مورس هذا هو مؤلف الكتاب ولكنه يتوارى . والواقع أن مؤلف الكتاب كان يعيش في إنجلترا ما بين أكسفورد ولندن ، وهو بيير دي مولان ، ولم يجرؤ بالضرورة أن يلقى بكتابه إلى مطبعة في إنجلترا فأرسله إلى مورس في هيبج ، وهو من سلالة اسكتلندية ولكن أباه ترح إلى هولندا ؛ ونشر مورس الكتاب وقدم له ، ووطن ملتن وشايمه في ظنه أكثر الناس أن الناشر هو المؤلف ؛ وكتب مورس حقيقة الأمر كتابا شديدا فيما يتعلق بمؤلف الكتاب ، ولكنه أنكر أنه مؤلفه ؛ إلا أن إنكاره لم يزد الناس إلا اعتقاداً بأنه هو فحقت عليه لئمة ملتن وأصحابه أجمعين ، وبالغ مورس في كتاب سره وكان شديد الوعي ؛ فلو بدرت منه كلمة أو إشارة

وفي اللغة : ( وهي الأمة ... والأمة هي ) كما يقول الحكماء  
لغتنا الخالدة يجب أن تؤمن بمبقرتها ، ونفخر ونعتز .

ولا بد من زيادة الإيضاح حول « الاستقلال الفكري »  
لكي ندلل على أهميته وآثره :

قضت البلاد العربية حيناً من الدهر طال وهي تتلقى  
صنوف المصائب من غفوة طبيعية في ظلام المهدي الثاني ...  
إلى غفوة صمنية إكراهية في هذا المهدي الأسود الأبيض  
الميت ، حيث تتلقى كل يوم بل كل ساعة بل كل لحظة ؛  
ضربة صامتة في صميم الاستقلال والكرامة — يوجهها عبدة  
المادة وإخوان الطامع . لقد توطنت النفوس على الشمور بالنقص ،  
وضنفت الثقة بالذات مع مرور الزمن ... وصرنا نسلك مسلكا  
عجيباً ، يندى له جبين التاريخ العربي . لنذكر كل أولئك لنعرف  
مدى حاجتنا إلى الاستقلال الفكري !

وصفوة القول : لا استقلال صحيح إلا بهذه الثلاثة .

(\*\*\*)

من الآخرين . ففي مضمار السياسة والوطنية يجب أن نتم  
الأفكار العربية الصحيحة ، وأن تكون لنا فكرة أو عقيدة  
ثابتة لا نخرج عن حدودها .

وأن نميز بين الآراء الصحيحة والنشوشة التي تُبث في  
وسطنا ، فنفضح الموضوعة بقصد التمويه والتضليل ... فكثير  
من المفتريات والأباطيل تلمب دوراً خطيراً في عقول عامة الناس  
وفريق من الخاصة .

ولنضرب مثلاً : لنفرض أنها حدثت ثورة في بلد عربي في  
وجه الطغمان ... وقد حدثت فعلاً ... وكانت النتيجة المعروفة ...  
وذهبت الأمة في آرائها مذاهب شتى ! لماذا ؟ لأن الأجنبي سم  
الأفكار وألبس الباطل بالحق ... بأبواق دعايته المنظمة ... ونجح  
أخيراً في تفريق الكلمة وصدع الشمل ، وتشببت الجماعة ، ورد  
الكيد إلى النحر ... ويات الأمة تن أحرارها ... وتخبط في  
دياجير العمى جهلتها ... وكانت الطامة الكبرى والياد بالله ! .  
وفي مضمار المعرفة : يجب أن يكون لنا منبع علمي عربي  
تنهل منه ناشئتنا ، فلا نشعر بالنقص على السوام ، وبعمق عقليتنا .

درجة لا تتقاصر عن مستوى شعره ، بلاغة عبارة ، وإشراق  
ديباجة ، وقوة أداة ، وروعة فن . مما جعله يعد فيمن لهم على  
اللسان الإنجليزي عظيم فضل ...

ويستبين كثير من صفاته ككاتب أحسن ما تستبين في  
كتابه هذا « الدفاع الثاني » فالرأي مجتمع على أنه من خير  
ما كتب ملتن إن لم يكن خيراً ما كتب جميعاً ، ويقول ذوو الخبرة  
باللاتينية ممن تحدثوا عنه إن ملتن أشرف على ذروة البلاغة فيه ،  
وقد ضمنه جانباً من حياته الشخصية ، وتعرض فيه لأقوى  
شخصيات الحكومة الجمهورية وأورد طائفة من آرائه الأساسية  
في السياسة والحكم ، وأندر في ختامه بما يخاف ، وأفصح عما  
يتوقع إن لم يأخذ بنصحه المعاصرون .

أسرف ملتن في التفاخر بحكومة كرمول وما أدته إلى إنجلترا  
من صنيح ، وما كان لها في قضية الحرية من مواقف مشهودة ،  
وما أتيج لها من نصر فيها لم تشهد الدنيا مثيلاً له ، وما كان إلا  
مردداً بكلامه هذا ما سبق أن ذكره في الرد على سلاميس ؛  
وكذلك كان شأنه في امتداح رجال ذلك العهد وما قدمت أيديهم  
من خير ، وأمن ملتن في الذهاب بنفسه وكان شموه بأنه قاهر  
سلاميس يدفعه إلى الغلو في ذلك حتى لقد أشبه أن يكون غلوه  
شططاً ، وكان كلما تذكر مارماه به خصمه من مطاعن يعظم  
غلواؤه فينسى أنه بذلك يبدي ما كمن في نفسه من غيظ .

يقول لمن ظن أنه خصيمه : « تتساءل من أكون ومن أين  
جئت وترغم أن في ذلك يحيط بي الشك ، كذلك أحاط الشك  
بهومبروس من يكون وأحاط بديموستين ... » ثم يسرد ملتن  
تاريخ حياته ويعدد مآثره ومفاخره ، ويدفع عن نفسه ما نسب  
إليه ، حتى ما عير به من فقد بصره فلم يدع هذا بنير رد فأشار  
كما سلف القول إلى براءة عينيه في مظهرها مما يميها حتى  
ليخالها من يراها مبصرين كأحسن ما يكون الأبصار وأعمه ،  
ونجد فيما يقول ملتن عن نفسه مثلاً من أحسن الأمثلة لما يلحق  
الرجل القوي من ضعف إذا عني من الأمور بما لا يتفق وسامى  
مترلته وعظيم خطاره ؛ والحق إن شدة إحساس ملتن بذاته هو  
الذي يجره إلى مثل هذه الواقف ...

ويرضى ملتن لنفسه فضلاً عن هذا أن يوجه اللطاعن إلى

ثم عن صاحب الكتاب لحاق به وهو على مقربة من كرمول ،  
ومن ملتن سوء المذاب ...

وتترى ملتن تترى الليث الجريح يريد أن يتعجل الرد ،  
واسكن المرض يقمده والمعنى يحوجه إلى من يكتب له ؛ ولم يك  
أعون له يومئذ من ابن أخته جون فيليبس ، ولكن فيليبس كان  
في شغل رد كلفه به عمه على هجوم آخر صغير وجه إليه ؛ لذلك  
لم يكن بد من التمهّل . فتهل ملتن على رغمه وإن جوامحه لتتقد  
حقداً على مورس ومن دفعه من الكائدين .

وظل ملتن يرصد أبناء مورس ويتسقط معايبه ، ويرسل من  
يتجسس عليه ويجمع ما يستطيع جمعه مما عسى أن يكون حوله  
من أمور تشينه في حياته العامة وفي حياته الخاصة .

وكان ملتن حربياً أن يترفع عن هذا فلا يكلف نفسه مثل  
هذا العناء من أجل إسمه من التكرات بعد ازدياء ملتن إياه لما  
في ذلك من مجرد الاكترات له شرفاً يلحق به ، وحسبه أن يرد  
على ما نسب إلى الحكومة من مثالب مقبياً الدليل إن أمكنه على  
بطلانها وحقيقة الدافع إليها .

وإنه لما يؤسف حقاً أن يتزل رجل مثل ملتن على جلالة قدره  
وسمو أفته إلى ما لا يخرج في جوهره عن كونه مغالبة ومجادلة  
حزبية لقوم يكفون عليها غدواً وعشياً لا يبتنون إلا الكيد  
ولو أنه أعرض عنهم واستصغر أذامم لكانوا هم الكيدين ...

وجاء رده بعد سنتين أي سنة ١٦٥٤ إذ نشر باللاتينية  
« الدفاع الثاني » ، وإن الرء ليعلمه الأسف كلما فكر فيها  
كانت تجدى على الشعر مثل هذه الطاقة من جانب شاعر أقرن  
اسمه بالسمر في ذلك الفن ، وجاوز بلسان قومه في شعر العناء  
واللاحم أسمى درجة أمكن أن يبلغها شاعر قبله وبمده بحيث  
صار له في الشعر الإنجليزي أفق يشرف أقوى الشعراء بعده تحليفاً  
أن يدنو منه فيستشرف له ، وفي شعر الدنيا قاطبة مكانة تسلكه  
في القلائل الأفاضل .

على أن كتاباته الثرية اللاتينية منها والإنجليزية لم تخل من  
فائدة وأهمية فمنها وقفنا على كثير من آرائه في الدين والسياسة  
والاجتماع ، ومنها لمحا بعض خلاله وزعات وجدانه وخلجات  
شعوره ، هذا إلى أنه كان يبلغ أحياناً في نثره كما سبق القول

إلى القائلين بإشراف الدولة على الكنيسة أعني بإقامة كنيسة للدولة ، وهكذا يجد ما كان يحلم به من حرية العبادة وحرية النشر وحرية الطلاق تهادى جميعاً صريحاً في عالم ما أبعد أهله عن الفطنة والمدنية في رأيه وما أبعد في جملته عما وصف به من السمو ، وما علق عليه من آمال ...

وتتجلى لباقه ملتن فيما اصطنعه لبيان معايب كرمول فهو يسوق كلامه ساق النصح فينهاه عن أمور ويطلب إليه فعل غيرها فيتضمن نهييه وطلبه أن كرمول فعل ما لا يصح فعله وقصر فيما يجب أن يفعل ...

يقول ملتن إن الدولة مكيئة اللعائم إذ أنه يساطر عليها رجل عظيم وبمينته مجلس يتكون من عظامه أمثال ، وهي بذلك خير مما تكون عليه لو وجد البرلمان وفخاده وسخافاته ؛ ولكن لا بد من الحرية ، ولا بد أن تكون الحرية آمنة مطمئة لا يأتيها خوف ولا يمسها عنف . فأنها إن مسها العنف من الرجل الذي تكفل بمهابتها كان ذلك بمثابة ذبح الفضيلة ؛ ويتجه بالخطاب إلى كرمول طالباً إليه أن يمسك عليه ذوى الرأى والشوزة من رجاله ويذكر له بمض الأسماء ؛ ثم يسأله ملحقاً أن يدع الكنيسة للكنيسة ويعظه ألا يزيد القوانين وقد رأى عدداً كبيراً منها بشرع حديثاً ولا يحظر شيئاً لا يصح أن يحظر ، وأن يعنى بالتعليم ونشر الثقافة وأن يكافئ المجتهدين في هذا السبيل ، وينصح له أن يطلق حرية الفلسفة ، وأن يدع كل ذى رأى ينشر رأيه بنير رقابة فلا يأتي العلم على أيدي الجهلاء ؛ ثم يدعو أن ينصت إلى كل شيء وألا يخاف من استماع أى رأى خطأ كان أو صواباً إلا رأى من يدعو إلى الوقوف في وجه الحرية ...

وفي ذلك النبى يقول ملتن أبلغ رد على الذين اتهموه بمالأة كرمول بالحق وبالباطل ؛ ونمخّب لأن يكون رجل مثل الدكتور جونسون ممن اتهموه بهذا . قال جونسون في كتابه عن ملتن : « وكان كرمول قد طرد البرلمان معتمداً على السلطان الذى قضى به على الملكية ، وأخذ يملك بنفسه تحت اسم حامي الجمهورية ، ولكن كانت له قوة ملكية بل وأكثر من قوة ملكية ؛ أما أن سلطانه كان مشروما فذلك ما لم يقل مدع به ، ولقد أقام هو نفسه أساس حقه على الضرورة ، ولكن ملتن وقد ذاق

مورس وكان خليقاً أن يدرك وهو المسرف في كبريائه وغلوائه أن الجملة من مثله على مورس وأشباهه إن هي إلا ضرب من المهانة والإجاز أن يتداخل المرء إعجاب بقوة النشر أو الصقر إذا انقض على عصفور وديع ، أو ببطولة الفارس إذا جنبد غلاماً لم يدر ما الدرع بمد ولا ما السيف !

ومن عجب الأمور حقاً أن مهم ملتن أهتماً كبيراً بالمعيب على مورس كأنما كان له نداء يحرص أن يظهر عليه ، وأن يأتي في مهاجمته بأمر حسبه فيها من إساءة إلى نفسه أن يكون هو قائلها ؛ فهو يتدسس على علاقته بالنساء ويستمرضها متهكماً ساخراً وينمت مورس أثناء ذلك بما يشاء خياله من نعوت ويعنف عليه ويغلظ غلظاً كبيراً حتى ليكون للمرء عذره إذا ظن أن ملتن إنما يباحى بمقدرته على الطعن والسكيد ...

ولكن « الدفاع الثانى » على الرغم من هذا كله يمرض أحسن ما كتب ملتن كما ذكرنا ، ومرد ذلك إلى صفات فيه بينها ، وتزيد عليها صفة أخرى جديرة بالاعجاب حقاً وخليقة أن تجمل للكتاب ذلك الأثر الحسن في نفوس قرائه وتلك هي هواجسه وتلقه على الحرية ؛ فقد أحيطت حماسته لكرمول بما أتى عليها الفتور من التحذير والنصح والإيابة عما توسوس به نفسه من مخاوف .

وكان كرمول قد استغنى عن البرلمان وأصبح يلعب بحامى الجمهورية ، وأنه في الحق لملك مستبد بالأمر لا ينقصه إلا التاج ، وأحسن ملتن أن الحكومة القائمة حكومة أقلية متحكمة تمتد على الجيش ، ولا سند لها من الشعب إلا أقلية تُدين لها طوعاً أو كرهاً ، وعلى ذلك فلا بد أن يكون لها من المبادئ ما تستغنى به عن الكثرة المؤيدة لغيابها في استمساكها بما يميزها من غيرها قدرأ وفضلاً .

ولم يك ملتن راضياً عن مملك كرمول في المسألة الدينية كما ذكرنا ، وكذلك لم يعجبه تفكر كرمول لبعض الرجال ممن قام على كواهلهم عهده ، وأزجه تشدد كرمول والتجاؤه إلى العنف وعد ذلك نذيراً بمخفق الحرية بأيدي أوليائها ؛ وغرزت على قلبه المخاوف أن معنى بحمية جديدة كتلك التى منى بها من التساومة أولاتهم من البرسبيريير ؛ فما هو ذا رأس الدولة يميل

القواعد ويتم البناء »

هذا هو ملخص « الدفاع الثاني » أو رد ملتن على مورس ، ولقد بذل هذا المسكين أقصى ما في وسعه قبل أن ينشر ملتن كتابه ليفنعه بأنه ليس صاحب الكتاب الذي يريد أن يرد عليه فلم يعد من ذلك بطائل إذ أصدر ملتن على أنه هو ، وتلك خلة من خلال الشاعر العظيم فما نتجته نفسه إلى أمر أو تتعلق بفكرة إلا اشتد عسكه بها فصمب زحزحزته عنها أو استحبال ذلك ، ومن السهل أن نرد هذه الخلة إلى شدة اعتداده بنفسه أولاً ثم إلى ثقته وبقينته من أنه لا يفعل شيئاً عن هوى ولا يريد إلا الحق ...

ولما نشر كتابه هالت مورس تلك العاصفة التي أرسلها عليه ، وعاد يفتي عن نفسه أنه كتب شيئاً ، ولقد كان يستطيع أن يفشي السر فيدل على الخصم الحقيقي للمتن ولكنه آثر أن يتحمل الأذى وهذه محمودة ومكرمة منه لا ريب ...

وتعاطف مورس الأمر فما يدري ماذا هو فاعل حياله ، وأول ما خطر له هو شراء ما ورد هيج من نسخ الكتاب وإعدامها جيماً ولكن ما حيلته فيما نشر من النسخ في القارة وفي إنجلترا ؟ وأعد رداً على ملتن لم يعد كونه دفاعاً عن نفسه ونفياً لما رى به من تهم وبخاصة ما يتصل بعلاقاته بالنساء ، تلك التهمة التي جعلت الأمهات في كل بيت يجفلن من دخوله عليهن وعلى بناتهن الأمر الذي أحزنه وأزعجه حتى كاد يذهب بصوابه .

ولم يشأ ملتن أن يسكت حتى على هذا الكتيب الذي رد به مورس ، فبادره بكتيب سماه « الدفاع عن نفسه » وعاد يسخر فيه من مورس ويضيف إلى ما رماه به من مطاعن شخصية مطاعن جديدة ليست دون سابقاتها إغشاشاً وإقذاعاً ، وعقب مورس على هذا محاولاً أن يبرىء نفسه من كل ما رى به ، ولكن ملتن بأبي إلا أن تكون له الكلمة الأخيرة ولذلك لقيه برد ثالث آثر بعده مورس الصمت فلا طاقة له بهذا الذي يرسل الصواعق عليه لا يبي ولا يفتر ولا يريد أن يسمع دفاعاً ولا استغفاراً .

هذه هي قصة النزاع بين ملتن وبين سلاميس ومورس وهي قصة كما رأينا حوت الكثير مما يكشف لنا عن جوانب شخصيته ويرينا جانباً من آرائه وموقفه من كرمول وحكومته ورجال عصره .

التصيف

( تابع )

حلاوة استخدامه هكذا في صورة عامة لم يكن يرضى أن يعود إلى الجوع والفلسفة فخاف الحرية التي دافع عنها وأسلمها إلى قوته ، بينما كان يؤدي وظيفته في عهد اغتصاب واضح ، وليس في الآراء أحن وأعدل من الرأي القائل بأن الثورات لا بد أن تنتهي إلى العبودية ، وأن الذي يرد قتل مليكه بسبب أعمال عدها غير قانونية يرى الآن وهو يبيع خدماته وضروب ملقه لطاغية ، لا يمكن كما هو واضح أن يجد عنده عملاً قانونياً .

وما خان ملتن الحرية ولا أسلمها إلى قوته وسلطانه ، وإنما خاف على الحرية منذ أن لاحظ له أمارات تخيفه عليها من شخص أفرط في حبه ، وليس يدل ذلك إلا على أنه يجمّل الحرية فوق كل شيء وأنه في سبيلها يضحي بكل شيء ، والحق أننا لا نجد فيها سلف من مواقفه في جانب الحرية موقفاً أكثر من موقفه هذا دلالة على صدق حبه للحرية وصدق إخلاصه في كل ما ينهض له من دفاع عنها ، وما نجد كلام جونسون إلا مثلاً لما تكون عليه الكتابة عن غرض أو عن جهل .

ويختم ملتن كتابه فيعود إلى الإنذار والتحذير قائلاً إنه فعل ما يجب عليه فعله وعلى مواطنيه أن يتدبروا في أمرهم ، وإلا سادت العاقبة ، ومهما يكن من شيء بعد ذلك فردّه إليهم فليهم تبعة كل خير أو شر . يقول في ذلك « لقد أدبت شهادتي ، وأكاد أقول إنني قد بنيت تمثالاً لا يسهل هدمه يقوم شاهداً على تلك الأعمال الفريدة الجبارة التي تسمو على كل مدح ؛ وكان مثل مثل شاعر الملاحم الذي يحرص على قواعد هذا الضرب من النظم ، فلا يعني بأن يصف حياة بطله الذي يعجد كلها ، وإنما يقتصر على بعض أعمال خاصة من حياته كما خيل إذ كظم ما في نفسه تلقاء طروادة وكمودة أوليس وكجيه إينياس إلى إيطاليا ؛ وكذلك فعلت نفسي مبرراً لموقف أو عذراً عنه أتى مجدت كما تمجد البطولة على الأقل فتحاً من فتوح بني قومي وسمرت بغيره صراً ، إذ من ذا يستطيع أن يسرد أعمال أمة بأسرها ؟ فإذا تنكبت طريق الفضيلة بمد هذا الذي أظهرتموه من البساطة والحياة وفعلتم ما لا يخلق بكم وما هو دون قدركم . فان أعقابكم سوف يحكمون على أخلاقكم ؛ ولسوف يرون أن الأسس أحكم وضعها وأن البداية كانت مجيدة ، ولكن يحزنهم أن لم يوجد من يرفع

وضعت ذراعها وراءه ، أو مرافقة له في زهاته للاستياد في  
المستنقعات ، وكانت ترسم عادة في هذه الظروف بشكل أصغر ،  
ولعل ذلك دلالة على أنها كانت تأخذ بنصيب أقل في هذه الرياضة  
ولأن نرف عن الطقوس الخاصة بحفلات الزواج شيئاً ما ،  
وجرت العادة أن يكتبني الرجل بزوجة واحدة ، ولكن هناك  
أمثلة كثيرة لرجال اتخذوا زوجتين أو أكثر . والظاهر أن  
القانون لم يمنع تعدد الزوجات ، وقد يما أيام الأسرة الخالصة أوصى  
الحكيم بتاح حتب وزير الملك إسيى بحجة الزوجة ، فقال في  
نصائحه المشهورة : « كَوْنْ لِنَفْسِكَ مَنزَلاً ، وَأَحِبْ زَوْجَتَكَ ،  
وَكَفِّهَا حَاجَتَهَا مِنَ الطَّعَامِ وَاللَّبْسِ ، وَقَدِّمْ لَهَا العَطْرَ ، فَإِنَّهُ دَوَاءٌ  
لَهَا ، وَأَدْخُلْ عَلَى قَلْبِهَا السَّرُورَ مَدَّةَ حَيَاتِكَ ، إِنَّ المَرَأَةَ حَقْلٌ نَافِعٌ  
لِزَوْجِهَا إِذَا أَحْسَنَ مَعَامَلَتَهَا ! »

#### الزواج من الوأخت :

كثيراً ما يقال إن الملوك المصريين كانوا يتزوجون من  
أخواتهم ، ولا جدال في أن البطالسة فعلوا ذلك ، بل هناك أمثلة  
أقدم منهم عن هذا النوع من الزواج ، ولكن ليس لدينا ما يدل  
على أنه كان قاعدة عامة ، فإن إشارات التصانيد الفرابية إلى الصديقة  
بلفظ « أختي » جعلت البعض يمتقدون أنها تشير إلى وجود هذه  
العادة ، ويجب أن نشك في صحة هذا الاعتقاد ، لأن التعبير في  
هذه الأحوال قد يكون مجرد لفظ تقدير وإعزاز

كذلك يمتقد البعض أن الوراثة كانت تؤول عن طريق  
الإبنة الكبرى ، ولكن الأمثلة التي ضربت لتأييد ذلك تدل  
على أن الميراث آل إلى البنت ونسلها في حالة موت أبناء الرجل  
دون أن يتركوا وريثاً .

#### النساء الطاهنات :

وقد لعب النساء دوراً هاماً في نظام الكهنة ، فكان يهد  
إلهن — بصفة خاصة — الحفلات الموسيقية التي كانت تقام  
للآلهة من ذكور وإناث ؛ وفي عهد الدولة الحديثة أصبح أولئك  
الكاهنات الموسيقيات محظيات للاله آمون رع ، وكانت تعرف

## الحضارة المصرية في عهد الدولة الوسطى

بحسب للعمارة الأثرى أريك بيت

للأستاذ أحمد نجيب هاشم

الرفيس :

أحدث الغزو الأجنبي تغييرات أخرى في المجتمع ، فأصبح  
الرتيق الأجنبي طائفة خاصة ، وكان أغلبهم من الشام وقليل من  
النوبة ، ولذا أصبحت لفظة « عام » مرادفة لرتيق في عهد  
الأسرة الثانية عشرة — ولم يكن هؤلاء الأرقاء ملحقين بخدمة  
الأفراد فقط ، بل كان الكثيرون منهم يلحقون بخدمة المعبود  
كنصيب الآلهة في غنائم الحرب . على أن نصيب المعبود لم يقتصر  
على الرتيق ، بل كان يتألف عدد كبير من الماشية ومقدار عظيم  
من الغلال ، وكثير من الغنائم المختلفة التي تعود بها الحملات  
الخارجية — وقد أدى ذلك بطبيعته إلى ازدياد ثروة طائفة الكهنة  
وعددهم ، فقويت هذه الطائفة حتى استطاعت بعد ألف سنة أن  
تخلع الفراعنة من عروشهم

#### مركز النساء :

ولم يكن مراكز النساء في هذا المجتمع حقيراً بأي حال ،  
ولكن مجال السيدة كان في البيت ، ولذا كان لقبها « بنت بر »  
أي ربة المنزل ، وزراها في النقوش ممثلة بلون أصفر خفيف . أما  
الرجال ، فكانوا يمثلون بلون نحاسي داكن نظراً لقضائهم أغلب  
وقتهم في الهواء الطلق تحت أشعة الشمس — وكانت السيدة  
تقوم بالأعمال المنزلية المختلفة من خبز وعمل الجمرة وغزل ونسج ،  
وقد يساعدها الرجل في كل ذلك أحياناً — وكان الزوج يحب  
زوجته ، وزراها في النقوش الظاهرة على جدران المقابر جالسة وقد

يربط جانباه إلى الأمام ، ويتبين ما ميدها مثلثة الشكل مصنوعة من نسيج القميص نفسه ؛ ويلبس رب الأسرة في قدميه نعالاً مصنوعة من البردي ، أو من الجلد ، وتلبس زوجته ملابس بسيطة من الكتان الأبيض ، هي مهلهل نقيق غير مكتمل ، كأس للجسم من الشدين إلى القدمين ومثت فوق الكتفين بشرطين من النسيج نفسه ، وكانت تلبس فوقه في الحفلات والولائم قيصاً آخر به خيوط من الخرز . وهكذا كانت الملابس في الدولة الوسطى تمتاز ببساطتها ، أما في الدولة الحديثة فقد تعددت الأزياء واعتاد صاحب البيت أن يقص شعره قصيراً أو يحلقه بالموسى وأن يضع على رأسه في الحفلات الرسمية قلانس شعرية ، وهذه القلانس نوعان : أحدهما قصير الشعر أجمل ، والآخر شعره طويل ناعم مفروق في الوسط ، وكانت الزوجة تترك شعرها مرصلاً إلى الأمام في صفيحتين على كتفيها ، وليس لنا أن نقرض أيهما من الشعر الطبيعي ، لأن هناك رسوماً كثيرة عن نساء راقيات ونبات صغيرات وخدم بشعر قصير جداً ، وكان أطفال البيت الصغار لا يتقلون أنفسهم بالملابس ، أما الكبار منهم فكانوا يتشبهون بالدهيم ، فالأولاد يلبسون قيصاً قصيراً ، والبنات يلبسن مهلهلاً طويلاً ، ويضع الأولاد خصلة طويلة من الشعر ، ويكتفي البنات بخصلة قصيرة

#### الحياة المنزلية :

وليمت الحياة في البيت حياة كسل أو تحول ، فنجد في إحدى الحجرات الخدم يفرلون الكتان على منازل أولية لا تزال تستعمل في الأمم المتأخرة ، بينما يشتمل آخرون على النول الأفقي أو العمودي بنسج أنسجة تيلية تختلف خيوطها من حيث الدقة والمتانة ، ولا تزال بعض هذه المصنوعات موجودة ، وهي لا تقل جمالا وجودة عن أجمل الحرائر الحالية — ولا نعرف إلا الشيء القليل عن استعمال الصوف في الدولتين القديمة والوسطى — بيد أن المعاطف الثقيلة التي تراها ممثلة أحياناً على التماثيل أو نوتى النقوش ، لا بد أنها كانت مصنوعة منه ونرى العمل قائماً على قدم وساق لإعداد الطعام في مطبخ

رئيسهن زوجة الإله ؛ والنظار أن هذه الحيازة وجدت في عهد الدولة الوسطى أيضاً .

#### المنزل وهدنستها :

نعرف تفاصيل الحياة المنزلية من الرسوم الكثيرة الواردة على جدران المقابر ، بيد أننا لا نعرف إلا الشيء القليل عن البيت العادي ، إذ لم يبق من بيوت الدولة الوسطى أو القديمة سوى بيوت مدينة صغيرة بنيت خصيصاً في اللاهون للمال الذين اشتغلوا ببناء هرم الملك سنوسرت الثاني ؛ وأغلب هذه البيوت أكواخ للمال والبيوت القليلة التي أعدت لمراقبي العمل كانت أكبر حجماً ، واختلفت اختلافاً كبيراً عن منازل الدولة الحديثة التي نعرفها جيداً من آثار تل المهارنة

أجل ، لقد كانت مادة البناء واحدة في الحالتين ، فاستعمل اللبن والخشب ؛ كذلك حوى كل بيت بهواً بأعمدة يقوم السقف عليها ويدخل إليه النور من نوافذ في أعلى الجدران فوق مستوى أسقف الحجرات المجاورة ؛ ولكن بينما نجد في منازل تل المهارنة نافذة للهوا الأوسط مفتوحة نصفها نحو السماء إلى الجهة الشمالية والغربية ، نرى الهوا الأوسط في بيوت اللاهون يتقدمه حجرة نسيحة بمرض البيت ، ويتقدم هذه بهوا ذو أعمدة

#### المنازل :

والآن ، فلنحاول أن نتخيل سكان هذا البيت هناك . أولاً : رب الأسرة ، ويرتدى في الأحوال العادية إزاراً قصيراً من نسيج الكتان الرقيق يصل إلى ما بعد ركبتيه بقليل ، وقد يلبس في مناسبات أخرى فوق هذا الإزار قيصاً أطول يصل إلى عقبيه — وقد يكون في بعض الأحوال لحايته من البرد ، ولذا كان يصنع من نسيج أكثر سمكاً — ولكن لم يكن ذلك شرطاً أساسياً ، فكثيراً ما كان يصنع من كتان رقيق جداً ، فيظهر القميص القصير الذي تحته

ومن الملابس النادرة التي تلبس في الحفلات ، ويلبسها الملك بصفة خاصة ، قميص الصيد ، وهو قيص من الكتان ذو ثنيات

وسائل للتسلية لحسب ، بل استملا بكثرة في الحفلات الدينية والجنائزية .

ويظهر من الرسوم التي وصلتنا أن المصارعة كانت أكثر الألعاب الرياضية انتشاراً ، ولم تقتصر الرياضة على الرجال ، بل أخذ النساء يقطنن فيها ، ولدينا رسم واحد لسيدات يلعبن الكرة ، ورسوم كثيرة عن سيدات يقمن بحركات بهلوانية ، ولا سيما الشقلبة إلى الخلف . فإذا أراد القوم تسلية هادئة ، لجأوا إلى ألعاب منزلية شتى يلعبونها بقطع ولوح خشبي أشبه بالشطرنج ومن أبسط الألواح التي عثر عليها وأقدمها لوحة عليها رسم في شكل ثعبان ملتف حول نفسه . وزرى الواحاً أخرى مقسمة مربعات عددها أربعة وعشرون أو ثلاثون ، تتحرك عليها القطع طبقاً لقواعد نجهلها ، ولعلها اللعبة المعروفة اليوم باسم «السيجة» والتي لا يزال يلعبها كثيرون من أبناء الصعيد

أحمد نجيب هاشم

البيت ، وتجد النساء يطحن القمح بقطعة من الحمص على لوح كبير من الحجر ، ويمجن الأرغفة في أشكال مختلفة من الشحير والشوفان ويخزنها في قرن اسطوانى من الفخار أو أفران من اللبن ، ونلاحظ أن هذه الأفران كانت منخفضة ومفتوحة في عهد الدولة القديمة ومرتمفة ومقفلة بعدها

كذلك نجد صناع الجملة يأخذون الكمك المنوع من الشحير أو حبوب البيشة ويكسرونه في الماء ، ثم بضغطونه بعد أن يتخمر في مناخل رفيعة ، ويمصرونه في أوان كبيرة ، ويبعونه غيرهم المصير الناتج في قدرين طويلتين . أما النبيذ ، فالراجح أنه لم يكن يصنع في المطابخ ، بل قرب الكروم نفسها ، فكان العنب يحمل في سلال ، ثم يوضع في مكبس ، هو لوح كبير من الحجر له سطح مجوف ، ثم يدهسه خمسة رجال أو ستة ممسكين بجبال مربوطة إلى عمود أفق مثبت فوق رؤوسهم ، وبعد أن يصب النبيذ في قدر تحته يوضع العنب المدهوس في قطعة من القماش أو في زكية يلف طرفاها لفاً عكسياً بقطعتين من الخشب بمسك كل واحدة منهما رجل ، وبهذه الطريقة يمصر العنب عصرًا جيداً ، ثم يوضع هذا المصير الأخير في قدر ، وينقل المصير كله إلى قدر ليختم كل منها بالطين كما يفعل الفلاح اليوم بقدر عمله وجبته ، ويصم الغطاء بخاتم اسطوانى ، أو في شكل جمران عليه اسم صاحب الكرم أو الموظف المشول عنه

وسائل التسلية :

وقد اعتقد المصري أن الترض من النبيذ هو إدخال السرور على نفسه ، كما أولع بإقامة الولائم فكان الجار يدعو جيرانه ليقضوا معاً «يوماً سعيداً» . وزرى في الرسوم الضيوف من رجال ونساء جالسين في هدوء يشاهدون ما أعد لهم من وسائل التسلية والسمر يشمون أزهار اللوتس ويحتسون النبيذ من الطاسة عند ما تقدم لهم ، وفي أثناء ذلك تمزق فرقة موسيقية على العود والقيثارة أنغامها الشجية ، ويقوم المنون بدورهم ويصفقون بأيديهم تصفيقاً منتظماً ، ويعرض الراقصون والراقصات حركات بسيطة بالأذرع الأرجل والجسم . ويجب أن نذكر أن الموسيقى والرقص لم يكونا

الوكالة العامة لتوزيع مطبوعات

مكتبة ومطبعة

عيسى البابي الحلبي وشركاه

في العراق

إدارة المكتبة العصرية

في بغداد

لصاحبها محمود طه

وكلاهما في الأتوية

تليفون ٦٤٨٠ و ٤٢٧٦ و ٩٤٧٠

## مظاهر العبقرية في الحضارة الإسلامية

للدكتور خليل جمعة الضوال

— • —

—•••••—

في العلوم الطبيعية :

ولم يعتمدوا في دراسة العلوم الطبيعية والميكانيكية والسوائل والبصريات على مجرد النظر ؛ بل اعتمدوا على فرض الفروض واستخراج النتائج منها بالمراقبة والامتحان . ولقد كان الحسن ابن الهيثم الذي ظهر في القرن الخامس للهجرة ؛ عالماً فذاً في هذه العلوم ، ولئن تجاهله المسلمون فقد عرف فضله الغربيون ، وقدره قدره وأوفوا كعبه حقها من الدراسة العميقة وأحاطوا بشخصه بما هو أهل له من الاحترام والاكبار . فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية : إن ابن الهيثم قد أوحى بكتابته في الضوء إلى اختراع النظارات ، وأن علماء القرون الوسطى كروجر باكون العالم الانكليزي المعروف ، وبول واتيلو ، وليونارد فنشي ، وكورنيكس وكبلر ، وغيرهم ، قد اعتمدوا على كتاباته ، واقتبسوا منها معظم بحوثهم في مختلف المواضيع . وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية أيضاً مانصه : « كان ابن الهيثم أول مكتشف ظهر بمد بطليموس في علم البصريات » .

وجاء في كتاب تراث الاسلام : « إن علم البصريات وصل إلى أعلى درجة من التقدم بفضل ابن الهيثم » . ويقول الأستاذ سارطون<sup>(١)</sup> : « إن ابن الهيثم أعظم مؤلف ظهر عند العرب في علم الطبيعة ؛ بل هو أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ، ومن علماء البصريات المدودين المشهورين في العالم كله ... » ، وجاء عن العالم الفرنسي « لوتيتياردو » بأن « كبلر » قد استمد معلوماته في الضوء وانكساره في الجو من كتابات ابن الهيثم .

وإلى ابن الهيثم يرجع الفضل الأول في معرفة قانون الانعكاس وزاويتي السقوط والانعكاس ، وهو الذي أثبت أن الضوء يسير في خطوط مستقيمة في الهواء وفي أي وسط آخر ، وأنه إذا سار من وسط إلى وسط آخر انكسرت أشعته ، وقاس كلا من زاويتي السقوط والانكسار ، وأظهر خطأ بطليموس في بحثه عنهما . وقد اخترع آلة لبيان العلاقة بين زاويتي السقوط والانكسار؛ فبنى علماء الغرب فيما بعد آلتهم الحديثة على أساسها . وقد علل كثيراً من الظواهر الجوية التي تنشأ عن الانكسار تعليلاً علمياً صحيحاً ، وأصلح خطأ رأي أفيلدس القائل بأن شعاع النور يخرج من العين إلى الجسم المرئي ، وقال بأن النور يأتي من الجسم المرئي إلى العين ، وقد بحث كثيراً في العدسات وحاول استعمالها في إصلاح أمراض العين ، وكتب في الرينج الكري وفي تحليل الشفق<sup>(٢)</sup> وهو إلى جانب ذلك أول من رسم العين ، وبين جميع أجزائها ، وكيفية تشريحها ، ووضع أساس آلة الاسترينسكوب .

على أننا لسنا في صدد تدوين تاريخ ابن الهيثم أو بيان مآثره فذلك أمر لا تنق المقالة ، ولا المقالات حقه ، ولهذا فإننا نكتفي بهذه الصفحة الموجزة عنه ؛ لتتقدم بفقرة أخرى موجزة تشير بها إلى مواطن ابتكار العبقرية العربية في هذا العلم الجليل الشأن .

يقول درابر : « لقد قرر العرب في الميكانيكا نواميس سقوط الأجسام وطبيعة الجاذبية ، وعللوا القوات الميكانيكية ، واصطنعوا في نقل الوائع وموازنتها الجداول الأولية للجاذبية النوعية ، وبحثوا في طفو الأجسام وغرقها في الماء ... وأثبتوا أننا نرى الشمس والقمر قبل الشروق وبعد الغروب ، ومما قال أيضاً : والذي يدهش كثيراً أن تصور أشياء تهاجر بأنهم من ابتكارنا ثم لا نلبث أن نراهم قد سبقونا إليها . فتعلمنا الحاضر في النشوء والارتقاء كان يدرس في مدارسهم<sup>(٣)</sup> وحقاً إنهم وصلوا إلى الأشياء الآلية وغير الآلية فكان المبدأ الرئيسي في الكيمياء عندهم ، والمظهر الطبيعي للأجسام المدنية »  
وقال جوتييه : « لقد علمنا العرب صنع البارود ، وعمل إبرة

Ameer Abi : the sigril glaeam (١)

(٢) الاسلام والحضارة العربية

(٣) مجلة الرسالة العدد ١١

من أربعين مرة ، وقد وصف فيه أنواعاً من العلاجات ، تركّز على النظم الغذائية ، وما زالت جهود العلماء حتى الآن منصرفة في هذا السبيل . أى بناء العلاجات على الأسس الغذائية .

ونذكر من الذين سحوا بعلم الجراحة إلى مكان العلوم الراقية الجراح العربي الكبير أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى ، صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » وقد شهد بنبوغه وتفوقه الجراح الكبير « فوج » فقال : لا شك في أن الزهراوى أعظم طبيب في الجراحة العربية ، وقد اعتمده واستند إلى بحوثه جميع مؤلفي الجراحة في القرون الوسطى ... ويستحق كتابه في الجراحة أن يعدّ اللبنة الأولى في علم الجراحة » ، وقد سبق الزهراوى إلى أشياء كثيرة ، ومبتكرات عظيمة في علم الطب ؛ فهو أول من بحث في علاج الأوراس الضرسية ، ومعاب الفم ، وربط الشرايين<sup>(١)</sup> ، وهو أول من وصف عملية تفتيت حصاة المثانة ، واستخراجها بعملية جراحية ، وعالج الشلل ، ووصف كيفية استخراج الأجسام النربية من الأذن ، ودأوى الجراحات الكبيرة ، ووضع أساساً لمعالجتها بالطرق الجراحية ، ووصف علاج الباسور بالسكى ، وتكلم في فن الولادة ، وهو أول من استعمل خيوط الحرير في العمليات الجراحية ، وعالج النزف بالسكى ، وما تزال أوروبا حتى الآن تدرس نظرياته الطبية في جميع معاهدها .

ومن عباقرة العالم في هذا الباب أيضاً « أبو بكر الرازى » المعروف بأبي الطب العربي ؛ ولكتب الرازى أهميتها العظيمة في علم الطب ، فقد وصف الجدرى والحصبة ، وعرف أعراضهما ، ومعالجتهما ، وطرق الوقاية منهما ؛ وكان أول من استعمل « الفتائل » في العمليات الجراحية ، وكذلك الأنايب التي يمر منها السديد والقيح والإفرازات السامة ، وقد ألف في الطب ما يناهز (٢٠٠) كتاب وقد ترجمت جميعها إلى اللغة اللاتينية<sup>(٢)</sup> .

وكان الطبيب مروان بن زهر الأشيبلى مستفيض الشهرة في العالم الأوروبى ، فهو أول عالم بالطبقات ، وفي منرفة مكروب الجرب ، وأول من وصف شلل البلعوم ، والتهاب الأذن

السفينة ؛ وعلينا أن نقدر دائماً مدى الشوط الذى كانت تقطه مدينتنا لو لم تقم على مخلفات المدينة العربية ، ولقد عرف العرب قبل غيرهم آلة الظل ، والمرايا المحرقة بالهوائى ، والمرايا المحرقة بالقطوع وقطعوا شوطاً مبدئياً في علم الميكانيكيات وجاء عن سيدليو : « أن هارون الرشيد الخليفة العباسى قد أهدى إلى شارلان ساعة دقاقة ، فلما أطلع عليها حاشيته تمجبوا كثيراً من أمرها ، وحاروا في معرفة تركيب آلاتها<sup>(١)</sup> » .

وقد حاول حكيم الأندلس عباس بن فرناس الطيران ، واخترع صناعة الزجاج من الحجارة ، وكتب في الموسيقى ، ووضع آلة المثقال التي يعرف بها الوقت على غير حساب ، ومثل في بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها تمثيلاً يقرب من الحقيقة ، وقد سبق العرب إلى معرفة الطباعة فألف أبو بكر القديسى كتاباً في الخواص ، وصنعة الأمددة وآلة الطبع غريب في معناه .

### الطب والكيمياء :

يقول ولز<sup>(٢)</sup> : « لقد ازدهر علم الطب والتداوى عند العرب على حين كان الأوروبيون يجهلون هذا العلم الشريف ويمتقرون أربابه ، إذ أن الكيمياء كانت قد حرمتهم عليهم ، وحصرت التداوى بزيارة الكنائس ، والاستشفاء بذخائر القديسين ، وبالتوايد والزق التي كان يبيعها رجال الدين ، ولقد كان لعلم الجراحة عند العرب أهمية كبرى ؛ فقد كان جراحوم يزاولون العمليات الجراحية الكبرى بطريقة علمية فنية ، وساءدم على ذلك ابتكارهم للمخدرات والمطهرات التي تشغل المكان الأكبر في علم الطب الحديث ؛ على حين كان الأوروبيون ينظرون إلى الجراحة كعمل منكر ، ويستكفون من النظافة لأنها تشبه الوضوء عند المسلمين » .

ونذكر من السابقين في هذا الميدان من أطباء العرب : طبيب طليطلة المشهور ابن الوافد (٩٩٧ - ١٠٧٤) صاحب كتاب « الأدوية البسيطة » الذي ترجم إلى اللاتينية أكثر

(١) من بحث الدكتور زكى على .  
(٢) روح الاسلام (بالانكليزية) لأبيير طي .

(١) سيدليو : تاريخ العرب  
(٢) مختصر التاريخ لولز

الوسطى ، ووصف لبن الماعز في علاج الدرن .

وقد كان ابن رشد إلى جانب تفوقه في الفلسفة طبيباً لاجباري ، وما زالت كتبه تدرس في أرق جامعات العالم ، فهو أول من أشار وعلل الدورة الدموية في كتابه « الكليات » الذي استمد منه وليام هارفي معظم نظرياته وبني عليها . ومن أطباء العرب الأعلام موسى بن ميمون وله شهرة واسعة في عالم الطبابة .

وقد سبق العرب إلى معرفة مرض النوم ، وسبب النوم ، ووصفوا علاجه وصفاً علمياً دقيقاً ، وسبقوا أيضاً إلى استعمال الحجامة في أمراض الصرع ، واستعمال الماء البارد في الحمى الدائمة وقرح العين واستخراج الجريم المعدسي الشفاف منها ، وهم أول من عرف الطاعون وكيفية علاجه ، وانتقال العدوى عن طريق الملابس والأوعية والحلي .

ومن آثار العرب التي سبقوا إليها ، تأسيس البيمارستانات لمعالجة الأمراض العقلية ؛ ويمزى إليهم الفضل الأول في إقامة المستشفيات ، وكان نظامها وتجهيزاتها في غاية من الكمال والإبداع ، وكانت إمبراطوريتهم الواسعة تنص بألاف من المستشفيات الزانية ، وقد ذكر العلامة الأمريكي فكتور روبنسن أنه كان في طليطلة وحدها ما يزيد على أربعمائة مستشفى .

وقد برع العرب أيضاً في فن الصيدلة ، ويشهد كتاب « الجامع في الأدوية المفردة » لابن البيطار ببلوغ كبرهم في هذا الباب فقد جمع فيه ما يناهز الألفين وصفة من أوصاف العقاقير المشهورة ، ويعتبر هذا الكتاب اليوم في العالم الأروبي مرجعاً أساسياً في الوصفات الطبية والعلوم الغذائية . وقد سبق العرب الأروبيين في وضع الأواني الزجاجية الكبيرة التي تحتوى على السوائل اللزجة عند مدخل الصيدليات ، وقد ميزوا بين مخازن العقاقير و « الأجزخانات » وإلى العرب يرجع الفضل في إدخال التمر الهندي ، والمسك ، والسنامكي ، وجوز الطيب ، والرواند ، والتمر ، وعرق السوس ، والكافور ، والقرنفل ، والزعفران في تركيب الأدوية ، والوصفات الطبية . وقد تعلم الأروبيون من العرب أيضاً طريقة طلاء الجيوب المقارية بالورق المذهب ، وتقطير ماء الورد ، واستعمال المقيثات .

وأما في علم الكيمياء . فللمرب مكانة لم ينافسهم عليها أحد

فهم الذين اكتشفوا الحامض الكبريتيك . اكتشفه الرازي وسماه « زيت الزجاج » وقد اكتشف أيضاً هذا العالم الجليل الكحول ، وذلك باستقطار المواد النشوية والسكرية المختمرة ، وألف في استخراج الذهب من المعادن الأخرى .

ومن أفضاء العرب في هذا العلم أيضاً « جابر بن حيان » ، ويقول المسيو برتيلو في الجزء الثالث من كتابه « الكيمياء في القرون الوسطى » : « إن كتب جابر بن حيان في الكيمياء هي غاية ما وصل إليه العقل العربي من الابتكار ، وإن كل المشتغلين بهذا العلم من بعده كانوا عالة عليه نقلاً وتقليداً » .

وقد حاول كيميائيو العرب العثور على إكسير الحياة ، وعلى اكتشاف حجر الفلاسفة ، وكتبوا كثيراً في خصائص الفلزات والالافلزات ، وعملوا لها جداول علمية دقيقة ، وعرفوا ماء الفضة والقلبي ، وطرق إذابة الذهب وملح النشادر ، وحجر الكبي ، والسلياني ، وصنع الصواريخ ، والنترات الفضية ، والقول ، وكيفية استخراج المعادن كالذهب والفضة ، والنحاس والبرونز ، والفولاذ ، وعرفوا أيضاً طرق الصباغة الفنية ، وعمل الأواني الفخارية ، وتحضير الورق من القش ، وعمل الأشياء الجلدية الثينة ، واستخرجوا السكر من القصب والألوان من الأعشاب .

خليل جمعة الطوال

( ينح )

الأستاذ سيد قطب

يقدم كتاب :

كتب ومخفصيات

يطلب من « دار الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

## وحي فيضان سنة ١٩٤٦

للمهندس فؤاد السيد خليل

سارت على الطوفان وهو جبال

ورست على الجودي وهي جبال

ونجت من الهول العظيم بحكمة جلي وفن ما له أمثال  
أخذت من الفيض الدمر خيره

ومثت على طغيانه تختمال

مصر الحبيبة للقلوب جميعها وإذا اشتكت يوماً يهب رجال  
من كل شهم للبلاد مجاهد هو في الكفاح مهندس رثيالإن لم يسر في الشرقين كلامه يوم الزوال فإنه فمّال  
أوغاب عن سنج الأنام وحشهم فاعلم بأن وجوده أعمالليس الشجاعة إذ تقا تل فتية مثل الشجاعة أن دهي زلال  
والموت أهون بالمدافع في الخلا

من أن تموت وفوقك الصلصال

ما النبيل تقتيل العباد وإنما تحمي رجال من أذى وعيال  
يفتحي غداة الروح كل محبة وتكون مصرأ وحدها الآمالتنكر الأيام والساعات في شغل ويخفي المييد والآصال  
تشابه الأوقات وهي عصبية وتممها الأحداث والأحوال

ولكم تقيل الجن وهو مثابر

ولكم رآه كوكب وهلال

ولكم رآه الشمس في حاسها  
بالنبيل يجرها سنا وجلال

\*\*\*

لما أتى النيل العظيم بخيله لا هدة منه ولا إمهال  
يزجي المياه كتابياً وجحافلا ترد البلاد كأنها أعمالقام المهندس للدفاع بفته وبنفسه ، وحياته أهوال  
يحدوه واجبه العظيم وخبه لا تزدهيه عقوبة ونوالوأناه من أهل الادارة نخبة مشكورة والجند والعمال  
قاموا جميعاً للجهاد بهمة لا يفتريها في الجهاد كلال  
وعمادها الفلاح وهو علاج كل

مئة . لم يهتضمه نضال

إن قلدوه السيف فهو بطولة أو قلدوه الفأس فهو غلال  
قوى الجسور بقوة وعزيمة لم يشه مرض بر قتالفلاح مصر ذخيرة مطهورة وجبالها التعليم والأعمال  
ابن الفراغنة العظام وطالما آناه في شتى الفنون كماللو علموه فاطمونه وطالجو لكان منه عباقر وغزال  
وتحلل بالستور كل صعوبة إن العليم لصعبيه حلالأرايت في التاريخ طراً أمة ترقى بشعب جله جهال  
باله عزت في الزمان بمالك وصلت لما لم يتدعه خيال

\*\*\*

خزان أسوان العظيم تحية منا إليك كأنها تمثال  
تمت مصر وأهلها لك منة عظمى ستذكرها لك الأجيالودقت عنها شرار عن مزبد بحر خضم دافني هطال  
وجدت بحصنك في المهالك والأسى

ما لم تجده (بروسيا) و (الغال)

يا قوم هيا عززوه بأخر

في حيفظ مصر تنفق الأموال

لا تتركوه على الحوادث (مأرباً)

فإذا أصيب دهي البلاد وبال

أيجوز أن الماء وهو حياتنا يلقى سدسى في البحر أو يفتال  
في خزن ماء الفيض كل رجائنا والاعتماد على الجسور محال

\*\*\*

يا مصر حبك في القلوب عقيدة

يحيا بها الأتوان والأشبال

لكن بنوك تفرقوا في حشهم حتى قسوا وتقطعت أوصالا  
ماذا عليهم لو تكاتف جمعهم

في رد عادية الألى قد مالوا



كلمة ( لاغير ) في « الرسالة » ٦٩١ - يروح في سبيل التفويض بيد أن (الثقة) بهذه أهواء أو التواء المقصرة التي تبدو بهذه الصورة المنكبة في كل جريدة ومجلة - يدعو تطبيعها في كلمة (لاغير) إلى غير التفويض والإتكال

إشفاقاً من أن يضيع ذلك الظن الحسن أو يزول إن لم يكن قد ضُف أو زال ...

— وإذا كنت لم أصل بعد في (علم العربية) إلى درجة التلاميذ لتلاميذ الامام ابن خالويه فاني أقدر - بحول الله - أن أفرق بين المكسر والصحيح فلا أجمع (الثقة) إلا على (الثقات) ذات التواء المطولة ، ولا أحسبها مثل (القضاة والدعاة والرواة والسماة والبلغاة والشرارة والأبائة والرماة) ف (الثقات) جمع صحيح سالم ، وهنا الجمع المكسر حين يجمع به .

في اللسان : « ورجل ثقة وكذلك الائمان والجميع ، وقد يجمع على ثقات ، ويقال : فلان ثقة وهي ثقة وهم ثقة ، ويجمع ثقات في جماعة الرجال والنساء » ومثله في مستدرك التاج .

وقد استوى في الثقة المذكر والمؤنث والفرد والمتى والجمع لأنه في الأصل مصدره في المصباح المنير : « وهو وهم وهم وثقة لأنه مصدر ، وقد يجمع في الذكور والأنثى فيقال : ثقات كما قيل : عدات » .

وأول من نبه على ذلك الخطأ هو العلامة اللغوي الكبير الشيخ إبراهيم اليازجي في مجلته الضياء في سنة مرتين سنينها لا أتذكرها اليوم ، ولا أتذكر رقم الصفحة فيها ، ثم أثار على نقد الشيخ منير ، وعزوا الفضل إلى صاحبه لن يضع من عازيه - ولن يضير .

ذكري بالامام ابن خالويه هذا الخبر :

« جاء رجل إلى ابن خالويه وقال : أريد أن أتلم من العربية ما أقيم به لساني . فقال : أنا منذ خمسين سنة أتلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لساني »

محمد إسعاف النعاشي

### الثقات

كان هذا الضميف إذا وجد في مکتوباته أو منسوخاته في « الرسالة » الفراء تطبيعاً بادر إلى إصلاحه ، ثم هجر طريقته هذه ، وفوض أمره إلى الله ( تعالی ) متكللاً عليه ، وعلى الظن الكريم الحسن لقراء « الرسالة » بخادم قرآتهم ولغتهم . فمثل التطبيع في ( آمال الإمام القائل ) و ( المسيح بن مريم ) في

يستكثرون على الشعوب حياتها

وحياتها الحسنى والاستقلال  
ويرون أن الشرق ظل بضاعة يشرونها وتشره الأقال  
في الشرق قوم لا تلبس قناتهم يجلو الفناء لهم ولا الأذلال  
كم ظالم في مستر أظهر بأسه سخرت به الفتيات والأطفال  
مصر البكتانة والإله نصيرها والحق والأملاك والأبطال

\*\*\*

فاروق عهدك آية قدسية تسمو بها الألباب والآمال  
أكثرت في مصر آثار والهدى

وأشمت فيها الملم فهو حلال  
الشمس أنت على المدائن والقرى

منك السنن والمخلصون ظلال  
حاربت أدواء الرعيّة كلها وعلى يدك تحطم الأغلل  
عصر به حكم الزمان لأهله طراً بأن شعوبهم أعدال  
والنيل ملكك لا مرد لحكمه

وعلى جوانبه يعيش الآل  
شعب يحبك بالفراد والبأسى ويذود عن واديك من يتال  
فاسلم ودم للمشرقين منارة ويحفظك التوفيق والأجلال

فؤاد البرهليل

أبو شاس أيضاً :

علق الأديب زكي الحافظ الفيوي في العدد ٦٩٠ من الرسالة الزاهرة على ما كتبناه في تحقيق ما ورد في الشابستي والعمري والزيات عن أبي شاس ، وقلنا إنه تصحيف أبي نواس ، وأوردنا الأدلة الكثيرة على ذلك ، وذكرنا أننا لم نثر لأبي شاس على ذكر في أي مصدر آخر غير ما ذكرناه ، لكن الأديب الفيوي ذكر أننا تسرعنا في الحكم ، وأنكر علينا حكماً ، وقال : لو رجع الأديب إلى مظان أسماء الشعراء لتحقق أن هناك شعراء يكونون بأبي شاس ، منهم أبو شاس التيمي ، وأبو شاس الطبري المذكوران في معجم الشعراء للفرزباني . ثم قال : هنالك شعراء يتسمون بأبي شاس منهم شاس بن نهار بن الأسود بن عبد القيس .

أقول : لا أزال على رأي الأول من أن هذا الإسم أبو شاس الذي مر ذكره في الشابستي والعمري والزيات هو تصحيف أبي نواس ، وهذه الأدلة :

١ - طريقة الشابستي في كتابه الديارات أنه يعرف بالشاعر أولاً ، ثم يذكر أخباره ونوادره وما له علاقة بموضوع كتابه ، فذكر أباشاس وعرف به ، ثم ذكر أخباره ، وفي كلامه على دير قيق ذكر شعراً لأبي نواس دون تعريف به ، وكذلك فعله في الكلام على دير سرجس ودير هند .

٢ - إن هذا الشاعر الملقب بالخليع الذي كان - على رأي الشابستي - أطيع الناس ، مليح الشعر ، كثير الوصف للخمر ، لازم الديارات وتطرح بها ، وفن رهبانها ومن فيها ، هو أبو نواس نفسه لا أبو شاس ، لأن هذه النعمت التي وصفه بها تنطبق على أبي نواس ، ولم يرو عن أبي شاس المزعوم مثل هذه النعمت أبداً .

٣ - ذكر الشابستي والعمري والزيات شعراً وجدته بنصه في شعر أبي نواس .

٤ - المزيق العبدي شاعر جاهل واسمه شاس بن نهار ، لم يرو عنه شعر في الخمر ، وإنه تطرح في الحانات ، وإنه فن رهبانها ومن فيها ، وهو الذي يقول :

فإن كنت ما كولا فنكن أنت آكلى

والا فأدركنى ولما أضرق

وهذا البيت سبب تسميته

٥ - أما أبو شاس التيمي وأبو شاس الطبري ، فلم يرو عنهما في كتب الأدب والسير أنهما شربا الخمر ووصفاها ، بل لم يرو عنهما خبر له قيمة ، كما لم يرو أنهما كانا أطبع الناس شعراً ...

٦ - أرنجل حبيب زيات اسماً لأبي شاس هذا فأسماء أبو شاس منير ، ولم يرد ذكر لهذا الإسم في جميع كتب اللغة والسير .

شكري محمود اممر

( بغداد )

مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

## وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

المنافسات العامة

إعلان مناقصة

تقدم المطاءات بمنوان حضرة صاحب العزة وكيل وزارة المعارف المساعد بشارع الفلكي بالقاهرة بالبريد الوصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميه في داخل الصندوق المخصص لذلك في إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ١١ / ١١ ١٩٤٦ عن توريد بياضات سنة ٤٦ / ٤٧ لمدارس الوزارة ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكي بالقاهرة نظير دفع ١٠٠ مليم .

٦١٩٤

وجرى على أن يقول له « عد إلى يابني عند ماتك عشرة آلاف جنيه وستدير الأمر حينذاك » فيكتب « هوفى » ويبدو عليه الوجوم ويقصد إلى « لورا » طلباً للسلامى . وبينما كان « هوفى » ذاهباً إلى « هولاند بارك » حيث



## المليونير النموذجى ... !

للنائب الانجليزى أوسكار ويلد

إن لم يكن الإنسان ثرياً فلا جدوى من كونه فناناً ، لأن الشعر والحب من مميزات السراة وليسأنا من شؤون المتعطلين ، وعلى الفقراء أن يكونوا رجالاً عمليين عاديين . وخير للإنسان أن يملك دخلاً ثابتاً من أن يكون ذا فتنة أخاذة .

تلكم أعظم حقائق الحياة الحديثة التى لم يظن إليها « هوفى » ارسكاين ؟ السكين . فلم تكن قواه الذهنية خارقة للمادة ولم تندب عنه قط فكرة متأقاة أو غير عادية ؛ ولكنه كان مشرق الظلمة بشعره البنى المجد وعينه الرماديتين ، مما حيب فيه الرجال والنساء جميعاً ، وكان يتمتع بكل وسائل الحياة إلا وسيلة كسب النقود .

ولم يخلف له أبوه سوى سيفه الذى علقه « هوفى » فوق مرآته ، وكتاب تاريخ فى خمسة عشر سرفراً وضه وسط مجموعة من المجلات . ثم فتح بالعيش بمبلغ يسير منحتة إياه عمه شطاه بعد ما أخفق فى كل عمل مارسه . فقد تردد على البورصة ستة أشهر ، ولكن ما حيلة فراشة بين ثيران وذئاب ؟ وأجر بالشاى مدة أطول ، ولكنه سرعان ما عزف عن التجارة . ثم زاول بضع مهن أخرى لم يفلح فيها . وأخيراً أصبح لا شىء ؛ أصبح شاياً مرحاً عقيماً ذا وجه صبور بلا عمل ...

ومما زاد الطين بلة أن « هوفى » كان متيماً بحب « لورا » مرتون « كريمة ضابط متقاعد فقد أعصابه وخسر مدته فى الهند ولم يستعدها . وكانت « لورا » تحب « هوفى » حباً يكاد يصل إلى العبادة ، وكان يسمعه أن يلثم صبور حذائها ، وشهدت لها لندن بأنهما أجمل حبيبين وأوفاهما فيها لأن المال لم يعترض حبهما . وكان الضابط ولوعاً بهوفى ؛ بيد أنه أبى أن يعقد خطبة ابنته له ،

تظن أسرة « مرتون » ذات صباح عرج على سديقه « آلن » تريفور « الرسام . وكان « آلن » فناناً متفرداً إلا أنه كان جافاً غريب الأطوار ؛ طفح الشمس على وجهه وأرخى لحية حمراء شمطاء ؛ أما حين يمسك بالفرشة فإنه يثبت أنه سيدفنه حقاً ، وكان يجد فى البحث عن أمثلة صوره بشوق وتلف . وما جذبته إلى « هوفى » فى بدء الأمر إلا إشراف وجهه ، ولا غرو فكان دائماً يقول « ما على الرسام أن يعرف من الناس سوى البسطاء الوجهاء الذين يمد فى النظر إليهم لذة فنية ، وفى التحدث معهم راحة الذهن . فالوجهاء من الرجال والحسناوات من النساء يحكمون العالم ، أو يجب أن يفعلوا ذلك على الأقل » وكلما زاد معرفة بشخصية « هوفى » زاد إعجاب به بروحه المرحة الخفيفة ، وطبيعته الكريمة الطائشة ، حتى فتح أبواب مرسمه على مصراعها أمامه فى كل وقت .

وعند ما دخل « هوفى » وجد « تريفور » يجمل صورة رائمة لشحاذا بالحجم الطبيعى ، وكان الشحاذا نفسه واقفاً على ربوة مرتفعة فى زاوية من زوايا الرسم ، وهو رجل عجوز تبدو الحكمة على وجهه المنفضن الكتيب الداعى إلى الشفقة . وكانت على كتفه عباءة رثة من قماش داكن ، وكان حذاؤه الفليظ قديماً مرصقاً . واتكأ الكهل بإحدى يديه على عصا غليظة بينما مدّ يده الأخرى بقبمته البالية يتكفف الناس .

وصاقح « هوفى » سديقه وقال همساً « ياله من مثال رائع ! » فصاح « تريفور » بأعلى صوته « نموذج رائع ؟ أعتقد ذلك ، لأنه لا يلتقى بأمثال هذا الشحاذا كل يوم ! إنه كنز يا عزيزى » — مسكين هذا الرجل ! ياله من بائس ! ولكنى أظن أن وجهه بالنسبة إليكم معشر الرسامين هو كل ثروته ؟ .

— بلا شك . إنك لا تريد الشحاذا يبدو سعيداً ؛ أوتريد ؟ فسأل هوفى « وكم يتقاضى النموذج مقابل هذه الجلسة ؟ » واقتعد مقعداً مرصقاً .

له في الحديث عنك - من أنت ، وما هو دخلك ، وما هي  
أمالك -

- « يا عزيزي آلن » صاح هوفى « ربما وجدته في  
انتظارى عند عودتى إلى المنزل ؛ ولكنك تمزح بدون شك .  
سكين هذا المعجوز البائس ! وددت لو استطعت مساعدته .  
إنه لشيء مرعب أن يصل إنسان ما إلى هذا الدرک من اليأس .  
أتمتقد أنه يحفل بشيء مما عندى من أكوام الملابس القديمة ؟  
وكيف لا ! فإن أسماله كانت تتساقط قطعاً » .

- ولكنه يبدو بديماً في هذا النوع من الملابس . وأنا  
لا أرسمه بملابسه الرسمية السوداء . مقابل أى ثمن ؛ لأن الذى  
تدعوه أنت خرقاً بالية أسميه أنا خيالاً رائفاً ، وما يبدو لك فقراً  
مدقماً هو ما يستحق التصوير عندى . وعلى كل حال سأخبره  
باستعدادك لمنحه بعض الملابس .

فقال « هوفى » جاداً « آلن ! أنتم معشر الرسامين  
لا قلب لكم » .

- قلب الفنان رأسه ، وعلاوة على ذلك لا تنس أن عملنا  
تصوير العالم كما نراه لا كما يجب أن يكون ؛ ولكل عمله ، والآن  
أخبرنى كيف حال لورا ؛ فالنموذج المعجوز أظهر اهتمامه بها .

- إنك لا تمنى أن تقول إنك حدثته عنها ؟

- بل فعلت بلارهب . فهو يعرف كل شيء عن الضابط  
القاسى الفظ و « لورا » الحلوة والمشرقة آلاف جنيه .

فصاح « هوفى » سحراً من شدة الغضب « أخبر ذلك  
التسول المعجوز عن جميع شؤونى الخاصة ؟ » .

وقال تريفور مبتهما « يا ولدى العزيز ! ذلك التسول المعجوز ،  
كما تدعوه ؛ من أترى رجال أوروبا . فهو يستطيع شراء لندن  
غداً دون أن يسحب أكثر من رصيده ، وهو يملك قصرأ فى  
كل عاصمة ، ويتناول الطعام فى أطباق من ذهب ، ويستطيع أن  
يمنع روسيا من دخول الحرب عند ما يرغب فى ذلك » .

- ماذا تمنى بالله عليك ؟

- إن الرجل الذى رأيت فى الاستوديو اليوم هو « بارون  
هوسبرج » وهو صديق حميم لى يتناع جميع صورى ، وقد أعطانى  
جملاً فى الشهر الماضى لأرسجه فى زى شحاذ ! ماذا ترجو من

- شلنا فى الساعة .

- وكم تقاضى أنت عن الصورة يا آلن ؟

- آه ! عن هذه أنقاضى الفين .

- من الجنهات .

- نعم يا عزيزى .

فصاح « هوفى » ضاحكاً « هذا حسن ! ولكن يجب أن  
يظفر النموذج بنسبة مئوية لأن عمله لا يقل مشقة عن عملك » .

- كيف ذلك ؟ انظر إلى مشقة توزيع الألوان والوقوف

طيلة اليوم أمام منصة الرسم ! كل هذا بروقك أنت يا « هوفى »

ولكنى أؤكد لك أن هناك لحظات يكاد يصل فيها الفن إلى

منسوب العمل اليدوى . والآن أوجز ولا تترثر لأنى جد

مشغول ؛ فدخن سيجارة والزم الهدوء .

وبعد فترة من الزمن دخل الخادم وأخبر « تريفور » أن

صانع الإطارات يريد مقابلته . فقال « تريفور » وهو خارج

« لا تجر يا « هوفى » فسأعود بعد لحظة » .

وانتهز التسول فرصة غياب « تريفور » ليسترخ على مقعد

خشبي وراه ، وكان يبدو عليه البؤس والشقاء حتى أشفق عليه

« هوفى » فبحث فى جيوبه ليعرف ما عنده من نقود ، وكان

كل ما وجد جنبها وبضعة بنسات ، ثم فكر فى نفسه « هذا

الزميل المعجوز المسكين يفقر إليها أكثر منى » وذرع الاستوديو

ونفخ الشحاذ بالجنيه .

تحرك الرجل المعجوز وعلت شفثيه اليابستين ابتسامة صفراء

وقال « شكراً يا سيدى ، شكراً » .

ولما عاد « تريفور » استأذن « هوفى » فى الخروج ووجهه

سحمر لما فعل . وقضى ذلك اليوم مع لورا ، وقبل الإياب إلى منزله

ظفر منها ببعض التائب والتفريع لتبذيره .

وفى مساء ذلك اليوم بينما كان « هوفى » يتجول فى نادى

« الباليت » فى الساعة الحادية عشرة وجد « تريفور » جالساً

وحده فى غرفة التدخين فقال له مشغلاً سيجارته : « أأتممت

الصورة على ما يرام ؟ » .

- تمت ووضع فى الإطار يا بنى . ولثلاث أنسى لقد فت

بفرو ، فذلك النموذج يدين لك بالإخلاص الشديد . وقد أطنبت

فرنسية « هل لي شرف التحدث مع السيو أرسكاين ؟ » .  
فأعنى هوفى .

وقال الرجل : « جئت من عند البارون هوسبرج ،  
والبارون ... » .

تلجج هوفى « أرجو يا سيدي أن تقدم للبارون أصدق  
اعتذاراتي » .

فقال الرجل المعجوز مبتسماً : « كلفني البارون أني أحمل  
إليك هذه الرسالة » ، وقدم له مطروفاً مختوماً .

وكتب على خارج المطروف : « هدية زفاف لهوفى أرسكاين  
ولورا صرتون ، من متسول عجوز » ، وكان بداخله صك بمبلغ  
عشرة آلاف جنيه .

\*\*\*

ولما تزوجا كان « آلن تريشور » شاهد المراسم ، وأتى  
« البارون هوسبرج » كلمة في حفلة الزفاف .

وتعجب آلن قائلاً : « إن من أندر الأمور الظفر بنموذج  
مليونير . ولكن أندر منه الظفر بمليونير نموذجي » .

برلس حيدر الملك

معهد الصحافة بالجامعة الأميركية

فريباً نصره مطبعة الرسالة ، كتاب :

## اللغات في القرآن

كتاب طريف نادر

يتضمن لغات خمسين قبيلة

من القبائل العربية وجدت في القرآن

لا توجد في مصدر آخر ...

رواية عبدالله بن الحسين بن حنون المقرئ للتعريف ١٣٨٦ هـ

حققه و صححه

صلاح الدين المنجد

أهواه مليونير ؟ ولكن يجب أن أعترف أنه بدا مثالا رائعا في  
خرقه ، أو في ملابسي أنا ، لأن ما كان يرتديه إن هو إلا عباءة  
قديمة لي اقتنيتها من أسبانيا .

فصاح هوفى « بارون هوسبرج ! يا لله ! لقد فتحتة جنبها ! »  
وغاص في القمد المريح مرتباً فزعاً .

وانفجر تريشور في الضحك « منحته جنبها ! لن تراه ثانية  
يا ولدي العزيز ، فإعماله إلا مستمدة من نقود الآخرين » .

وقال هوفى عابساً « أظن أنه كان يجب أن تخبرني يا آلن ،  
ولا تركني أخدع نفسي إلى هذا الحد » .

— في الحقيقة لم يتصور عتلى أنك توزع الصدقة بتلك  
الطريقة الطائشة . إن أفهم تقييلك نموذجاً جيلاً ، ولكن  
إعطائك جنبها لنموذج قبيح — لا ، بالله ، لا ! فهذا مستحيل .

وعلاوة على ذلك فالحقيقة أني أنكرت وجودي في الاستوديو  
لكل طارق اليوم ، فعند ما دخلت أنت لم أعرف هل يجب  
« هوسبرج » أن يذكر اسمه ، فأنت تعرف أنه لم يكن يرتدي  
ملابسه الرسمية .

— لا بد أنه حسبني شيخ البلهات في هذا البلد .

— لا ، أبداً . فقد كان مسروراً بمد خروجك ، وكان  
يحدث نفسه ويمسح يديه المجدتين ؛ ولم أستطع أن أستنتج سبب  
شغفه بمعرفة كل شيء عنك ، ولكنني فهمت كل شيء الآن .

— « إن شيطان عديم الحظ » زجر هوفى « خير  
ما أستطيع عمله هو الإيواء في مخدعي . ويا عزيزي آلن يجب  
الآن أخبر أحداً بما حدث ، فإني لا أستطيع أن أواجه المجتمع »  
— ولم ذلك ؟ إن عمك هذا لأقوى دليل على حبك لخير  
البشر يا هوفى . والآن خذ سيجارة أخرى وتحدث عن « لورا »  
يقدر ما تحب .

بيد أن « هوفى » لم يطع وذهب إلى منزله حزينا مكتئبا ،  
وترك « آلن تريشور » يقهقه من شدة الضحك .

وفي الصباح التالي في أثناء تناول « هوفى » طعام الإفطار  
حل إليه الخادم بطاقة كتب عليها « السيو جوستاف فودان  
من طرف البارون هوسبرج » فأمر الخادم بدخول الزائر ودخل  
الحجرة وجل عجوز بمنظار ذهبي وشعر رمادي ، وقال بلهجة

# لجنة القاهرة للتأليف والنشر

تقدم لك :

## العلم وعلاقته بالمجتمع

كتبه ج . كرور وزمبم الدكتور إبراهيم علمى وأمين نصح

كتاب يفسر مشاكل السياسة والاقتصاد والفنون في ضوء العلم التجريبي ويبين تطور المجتمعات البشرية وانتقالها من مرحلة الهمجية إلى مرحلة الديمقراطية والاشتراكية

٢٠ قرشاً

٢٠٣ صفحة

يطلب من اللجنة ميدان الخديو اسماعيل رقم ١١  
ومن مكاتب مصر والسودان والشرق العربي .

## سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

### نشر الاعلانات في الرسائل البرقية

إن الإعلان في الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصري بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذي يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذي يبني التوسع في تجارته وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر في هذه الرسائل زهيدة وفي متناول الجمهور فحملت كل مائة ألف إعلان ثلاثين جنهما مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنهما وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنهما فضلاً عن تخفيض معين في المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الإعلانات .  
انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتنكم أن تمجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

بزيادة الإيضاح اتصلوا : -

بقسم النشر والإعلانات

بالإدارة العامة - بمحطة مصر